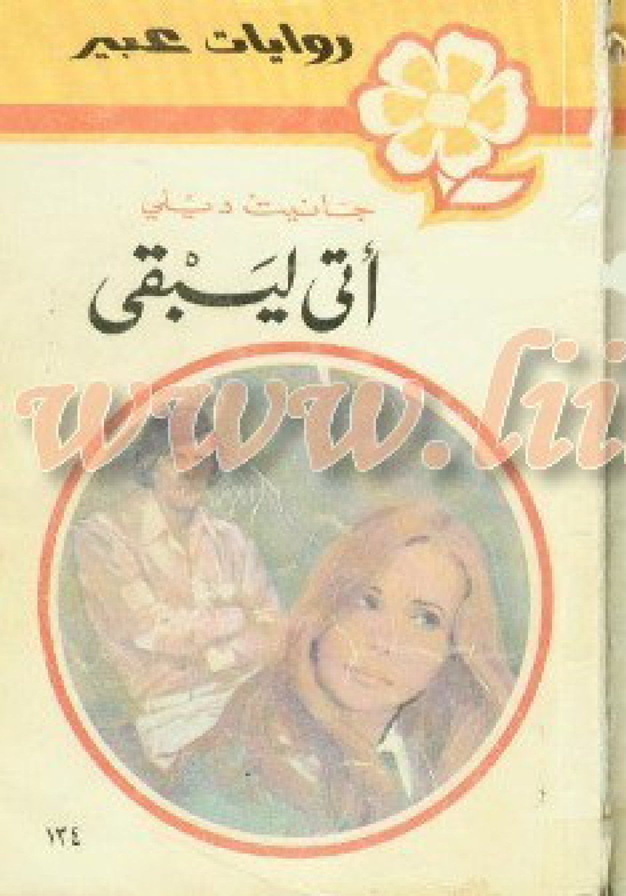


روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No 134

أتى ليبقى

مرت سنوات طويلة قبل ان تلتقي تانيا زوجها جايك مرة ثانية. كان يبدو انه يتهرب من شيء ما، من حياة لا حب فيها، أو من نفسه ربما. وبقي في بلد بعيد لا تعرف عنه زوجته الا النزر اليسير. تزوّجا بسبب أمر بدا ضرورياً وهاماً للغاية في وقتها. وكان زواجهما [illegible] خطة حبر على ورق. ولكن [illegible] الآن بحاجة إلى أن يقف بجانبه، يرشده، ويأخذ بيده نحو [illegible] المستقبل.

. . . وجدت تانيا نفسها مرغمة على الرضوخ ومطالبته بالعودة الى البيت. الا انها لم تكن مستعدة للمعاملة العدائية القاسية التي لقيتها منه، ولا لوجود تلك السمراء الجذابة شبلا رابض في الجوار.

أصبح أشبه بالغريب. كما ان السر الذي تحمله في قلبها لم يعد يحتمل الصمت.

هل ستحاول، من أجل الصبي، انقاذ زواجها؟ وهل عاد زوجها هذه المرة. . . ليبقى؟

لبنان	[illegible]	الكويت	[illegible]	اليمن	١٠ ر	السودان	[illegible]
سورية	[illegible]	الامارات	١١ د	تونس	[illegible]	U.K.	£1
الأردن	[illegible]	البحرين	[illegible]	ليبيا	[illegible]	France	F 10
العراق	[illegible]	قطر	١٠ ر	المغرب	٩ د	Greece	Drs 150
السعودية	٩ ر	عمان	[illegible]	مصر	[illegible]	Cyprus	P 1250

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
SHOW ME

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ ـ الزوج الغائب

كانت الطريق الريفي [illegible] التلال المحنية، وكانت [illegible] القليلة بين الأشجار التي تحف الجانب الأيمن من الطريق [illegible] نافذة السيارة [illegible] للناظر [illegible] لجبال اوزارك في ولاية ميسوري.

ـ هل يمكننا التوقف قليلاً في مركز المراقبة الطبيعي؟

نظرت اليه تاليا لاسيتر باسمة، بعد ان كانت غارقة في أحلامها تركز اهتمامها على الطريق الممتدة امامها والمناظر الطبيعية الخلابة. لا يمكن لأحد ان يكون لديه ابن جميل وذكي مثل جوش. انه صبي في السابعة من عمره، بهي الطلعة، ذو عينين زرقاوين وشعر كستنائي ناعم يغطي جبينه، سعيد، نشيط، ويحب الاستفسار عن كل شيء.

وقالت تانيا لنفسها بسرور بالغ ان ابنها يتحلى بجميع الصفات التي تتمناها كافة الامهات لابنائهن. وما كان يلفت نظرها دائماً ان عينيه اللتين تشبهان بزرقة سماء الصيف الصافية الدافئة لا تشبهان ابداً عيني والده جايك الفولاذيتين الباردتين.

- هل يمكننا ذلك، يا أمي؟

- بالطبع، يا حبيبي، ولكن لفترة قصيرة. فجدتك تنتظرنا على العشاء ولا يجوز ان نتأخر عليها كثيراً.

فرح جون بموافقة امه ولم يتمكن من اخفاء سعادته وحماسه الشديدين. ولكنها لاحظت ان امرا يقلقه ويزعجه، وقالت لنفسها انه سرعان ما سيخبرها بكافة التفاصيل. أقفلت تانيا ابواب السيارة، فيما كان ابنها ينتظرها بفارغ الصبر على بعد بضع خطوات. سرحت شعرها سريعاً بأصابع يديها ثم انضمت الى الصبي المتحرق شوقاً للوصول الى ذلك المكان الجميل المسمى سامي.

سار الاثنان معا بخطى وئيدة نحو تلك الصخرة الرملية الضخمة التي تشرف على منطقة شاسعة. كانا شخصين ملفتين للنظر. الأم طويلة القامة، جميلة القوام، وجذابة تشع أنوثة. والصبي وسيم مشع بالنشاط والعافية، ويمثل الرجولة الحقيقية على نطاق ضيق. وفيما جلس جون على تلك الصخرة الضخمة يراقب الوادي والسيارات القليلة التي تمر بسرعة، صعدت والدته بضعة أمتار واسندت ظهرها الى جذع شجرة باسقة.

تأملته طويلاً وهو يقف بزهو وعنفوان، وكأنه خطيب منبر يلقي كلمة حماسية امام حشد غفير أو قائد عسكري بارز يراقب معركة رابحة ويوجهها. انه يشبهها في امور معينة. ففي الظاهر، يبدو جون منفتح الشخصية ومرحاً يحب التمتع بالحياة... واللهو. ولكنه مثلها يحب أحياناً الابتعاد عن الآخرين والاختلاء بنفسه ليفكر ويحلل. وكانت تشعر في اوقات معينة انه يعي اكثر مما هو متوقع من طفل في السابعة من عمره، وانه يحلل كثيراً ويقضي فترات أطول مما يلزم مع

الراشدين. ولكنه لا يتخبط مع رفاقه في المدرسة او يجد صعوبة في كسب الاصدقاء وفي التعامل معهم. اذن، فلا داعٍ للقلق او للخوف.

شاهدت عصفورين يتناجيان بمرح وسرور. شعرت بألم حاد في جميع انحاء جسمها، ورغبت في وضع ذراعيها حول نفسها لتشد بقوة تزيل الألم. كل عصفورة مع شريكها... الا هي! انها عصفورة في السادسة والعشرين من عمرها بحاجة الى شريك تحبه وتناجيه. هذه هي ابسط حقائق الحياة... وأقدمها!

تذكرت وصولها الى هذه التلال قبل سبع سنوات وهي تحمل طفلا رضيعاً على ذراعيها. أزالت والدة زوجها جوليا لاسيتر، بعطفها وخبرتها، صورة الطالبة المراهقة وحولتها الى شابة واعية ذات شخصية جذابة وقوية. وقالت تانيا لنفسها بمرارة انه لم يبق من ذلك شيء... سوى احتقارها لجايك لاسيتر الرجل الذي تحمل اسمه. لم يفرز ذلك الزواج سوى نتيجة ايجابية واحدة... جون. انه لها ولا يمكن لأحد ان يأخذه منها... طالما انها لا تزال متزوجة من جايك.

- أمي؟

جثت على الأرض وجلس جون قربها. رفعت ركبتيها وضمتهما بذراعيها وسألته بهدوء:

- نعم، يا حبيبي؟

- هل حقا لدي والد؟

لم يعكس وجهها أثر الصدمة الناجمة عن مثل هذا السؤال الا لحظة واحدة. تسارعت ضربات قلبها، لكنها حافظت على رباطة جأشها وقالت:

- طبعاً لديك والد.

حدق بها وكأنه يريد اختراق عينيها للوصول الى عقلها وافكارها، وسألها:

- أمي... هل هو حي يرزق؟

حاولت تانيا ان تضحك، ولكنها لم تتمكن الا من الابتسام عندما أجابته قائلة:
- نعم، انه حي. انت بنفسك كنت تحضر رسائله كلها الى ساعي البريد. ماذا حملك على التفكير بأنه ليس حياً؟
- قال لي داني جيلبرت ان أبي ميت او موجود في السجن، والا كان عاد الى البيت. هل هو في السجن، يا أمي؟
طوقت كتفيه بذراعها وضمته اليها للتخفيف من توتر اعصابه، وقالت:
- لا، يا حبيبي، انه ليس في السجن. انه الآن في مكان ما من افريقيا. انه يعمل مع جدك، ألا تتذكر ذلك؟ ثمة سد كبير او جسر او ما شابه ذلك يتم تشييده هناك، وشركة جدك تتولى الاشراف على المشروع. ويعمل والدك جاهداً كي يتأكد بنفسه من ان العمل يسير بدقة وانتظام.
أبعد رأسه عن كتف امه وتأمل بانزعاج وجهها الحزين، ثم سألها بتأثر:
- ولكن لماذا لا يأتي ابداً الى البيت؟ ولماذا لا نذهب نحن لزيارته؟ ألا يريد رؤيتنا؟
حاولت طمأنته ولكنها فشلت في اعطاء الجواب الشافي. قالت له بلهجة مبهمة وغير مقنعة:
- سيعود يوماً، يا حبيبي. لديه أعمال واشغال كثيرة.
- جميع المسؤولين والموظفين لديهم اجازات سنوية. فلماذا لا يأخذ اجازة كي يحضر لزيارتنا؟
- لقد أتى مرة.
لم تتمكن من ابلاغه بأن جايك أتى بصورة مفاجئة لتمضية شهر بكامله، ولكنه عاد بعد اسبوع واحد. لم يعجبه ردها، فقال:
- كنت صغيرا جدا. أخبرني جدي بأن عمري آنذاك كان ثلاث سنوات. انا لا أتذكره اطلاقا.

سألته بتردد عما اذا كان بحث هذا الأمر مع جدته، وكانت خائفة من ان يكون رده بالايجاب. فمن شأن ذلك ان يضيف نقطة سوداء أخرى الى سجلها لدى أم زوجها. هز جون كتفيه وقال:
- لا، لم أبحث ذلك معها. ولكني سألتها عن عمري عندما حصلت على ذلك الفيل العاجي الصغير. أنت قلت لي ان أبي أحضره لي كهدية.
تنهدت بارتياح وأكدت له تلك المعلومات بهدوء. عاد الصبي الى السؤال:
- هل يمكننا زيارته هذا الصيف، بعد انتهاء العام الدراسي؟
ارتبكت... تلعثمت... تأملت... لأنها تريد ايجاد رد مناسب لرفض طلبه، دون اضافة شيء يزيد من اقتناعه الحالي بأن والده لا يريد رؤيته او مقابلته. هزت رأسها وقالت له بجدية مصطنعة:
- لا يمكننا ذلك، لأن الوضع السياسي هناك لا يسمح لنا بالقيام بمثل هذه الزيارات.
نظر اليها الصبي بيأس وبخيبة أمل مريرة، وقال لها بلهجة الراشدين:
- كنت أعلم انك ستقولين لي شيئاً مماثلاً.
بلعت تانيا ريقها بعصبية وقدمت له اقتراحاً لا يعجبها. قالت:
- يمكننا الليلة ان نكتب له رسالة نستفسر منه بواسطتها عما اذا كان قادراً على زيارتنا لمدة اسبوعين او اكثر خلال الصيف المقبل.
أزاح جون شعره البني الفاتح عن جبينه الصغير وتأمل امه بعينين تحملان القليل من الآمال والكثير من الخيبة والآلام. ثم سألها:
- وهل تعتقدين انه سيأتي؟
كانت تأمل في قرارة نفسها ألا يوجه اليها هذا السؤال. ولكن تانيا الصامتة ان يرفض جايك طلبيها، زال واضمحل بمجرد نظرها الى وجه ابنها.
- اذا كان الأمر ممكناً بأي شكل من الاشكال، فانا متأكدة من انه

سيأتي . . . وبخاصة اذا كتبت له وطلبت منه ذلك.

لم تحاول تانيا ابداً تشجيع المراسلة بين الابن ووالده، لانها لم تكن راغبة في مشاطرة جون الصغير حبه للرجل الذي تحتقره. كانت تحفز ابنها على ارسال كلمة شكر الى أبيه في مناسبات معينة فقط، وذلك عندما يستلم منه بريدياً هدايا الأعياد. هب الصبي واقفاً وقال لها بسرور واضح:

ـ هيا بنا! لنذهب الى البيت.

فيما كانت السيارة منطلقة على الطريق الساحلية، التفتت الأم الى ابنها وقالت بهدوء:

ـ أريدك ان تعلم يا بني ان مجرد الكتابة الى أبيك لا يعني بالضرورة انه سيتمكن من العودة الى الولايات المتحدة.

ابتسم الصبي بثقة وقال لها:

ـ أعرف. ولكنه سيأتي. انا متأكد من انه سيأتي!

ذكرها التصميم القوي في نبرته بالروابط المتينة بين الابن وأبيه. ومع انها تريد كثيراً تجاهل وجود زوجها، الا انها لا تقدر على ذلك من أجل جون. وسمعت الصبي يقول بصدد الموضوع ذاته:

ـ كنت أفكر بأنه ربما يتصور اني لا اهتم به. انا اعلم بمدى تشوقي لرؤيته، فمن المؤكد انه سيأتي.

ـ وإذا لم يتمكن من المجيء هذا الصيف، فربما سيفعل ذلك في الخريف او حتى في فترة عيد الميلاد. لا تعلق يا حبيبي آمالاً كبيرة على امكانية مجيئه خلال الصيف، فلربما عجز عن ذلك.

ـ اتمنى ان يأتي الآن كي يراه دالي جيفرت ويعرف ان لدي والداً وانه موجود حقاً في افريقيا.

ثم نظر اليها بحماس وسألها بلهفة:

ـ هل يمكننا كتابة الرسالة فور الانتهاء من العشاء؟

شعرت بالألم يعصر قلبها ولكنها وعدته بذلك قائلة:

ـ نعم، بعد العشاء مباشرة.

ـ وسوف ترسلها بالبريد الجوي كي يتسلمها بأسرع وقت ممكن؟

ـ نعم، سوف نرسلها بالبريد الجوي.

ظهر الارتياح جلياً على وجه الصبي عندما شاهد سيارة فضية اللون متوقفة امام المنزل الكبير المبني على أحدث طراز. وقال:

ـ انه العم باتريك. لم نره هنا منذ زمن بعيد.

برقت عيناها لدى رؤيتها السيارة المألوفة، وقالت له مصححة:

ـ كان هنا منذ أقل من اسبوع.

لم يكن باتريك وايتز عم الصبي، مع ان جون يدعوه بهذا الاسم منذ ان اصبح قادراً على الكلام. ولاحظت تانيا ان والد زوجها جاي دي لاسيز أحال نفسه الى تقاعد جزئي ولم يعد يذهب الى مقر شركته إلا مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع.

ومنذ ذلك الحين أصبح باتريك وايتز يتولى ادارة الشركة الهندسية بصورة فعلية مع انه لم يعين رسمياً رئيساً لها. وكانت تانيا تشعر بأن جاي دي لم يتقاعد كلية لأنه ينتظر عودة ابنه الوحيد وتسليمه الشركة وادارتها. وتذكرت تانيا ان جاي دي هو الذي بذل تلك المحاولة الفاشلة لاقناع جايك بالعودة الى وطنه. وقد حضر فعلاً قبل أربع سنوات لتمضية شهر كامل الا انه لم يبق سوى اسبوع واحد. وتألمت عندما تذكرت الجو المرعب العدائي الذي خيم عليهما اثناء تلك الأيام القليلة، وكيف انها لم تتمكن من تبادل أي حديث عادي ومهذب معه . . . او حتى ان تشعر بالارتياح لوجودها معه في غرفة واحدة.

دخل الصبي وأمه المنزل الرائع الجمال دون إبطاء، وفيما كاد قلبها يتوقف عن الخفقان بسبب سماعها صوت باتريك القوي في قاعة الجلوس، هرع الصبي الى القاعة وهو يلقي التحية بصوت عال على جديه وعلى صديقه الأسمر الوسيم. ابتسمت تانيا مرحبة بباتريك الذي حياها بمودة وحرارة. مدت يدها نحوه بصورة عفوية قائلة:

- اني مسرورة بلقائك مرة اخرى، يا باتريك. قال لي جون، لدى مشاهدته سيارتك في الخارج، انه لم يرك هنا منذ أجيال.

ظل قابضاً على يدها بقوة حينما قال لها بارتياح وزهو بالغين:

- اذن أحسست بخيلي عن البلدة وكنت تتشوقين لعودتي.

أرادت تانيا الانطلاق من تلك الجملة لاجراء حديث هام معه، الا ان والدة زوجها تدخلت قائلة:

- كنا بدأنا نظن انكما اختفيتما. اين ذهبتما انت وجوني؟

كانت جوليا لاسيتر الشخص الوحيد الذي يطلق على الصبي اسم جوني عوضاً عن جون. وكانت تانيا تحس بأن حماتها تفعل ذلك لمجرد اغاظتها. نظرت الى السيدة الارستقراطية التي تمسك بيد حفيدها بقوة، والتي تحب معرفة تفاصيل كافة تحركاتها، وقالت لها بهدوء:

- ذهبنا في نزهة قصيرة استغرقت اكثر مما كنا نتوقع. هل أصبح العشاء جاهزاً؟

وقف جاي دي، ذو القامة الطويلة والمنكبين العريضين، الذي يشبهه ابنه الى حد بعيد، وقال لها:

- كنا على وشك التوجه الى قاعة الطعام.

- اسمحوا لنا ببضع دقائق لاستبدال ثيابنا قبل ان ننضم اليكم.

افلتت يد جون بيدها ووجهت ابتسامة ناعمة نحو الثلاثة الآخرين، وبخاصة الى باتريك. ارتدت فستانها وسرحت شعرها خلال فترة قياسية، ثم توجهت فوراً الى المطبخ وهي تعلم ان جوليا تتوقع حضورها في اي لحظة. كانت تدرك ان بامكان العائلة استخدام خادمة او طاهٍ او بستاني، ولكن منزل جوليا لاسيتر كان قصرها الخاص. فهي التي تقوم بكافة الأعمال او تراقب تنفيذها بدقة واهتمام. وقالت تانيا لنفسها ان السيدة لاسيتر تحب الكمال وتعمل جاهدة لتحقيقه. ليس هناك من عمل إلا وتقوم به على أفضل وجه، مأكولاتها أشهى وأطيب مما يتوقعه متذوق الطعام في أفخر

المطاعم وأفضلها. منزلها نظيف دائماً لا يعرف الأوساخ او حتى الغبار، ولو في تلك الأمكنة الشخصية او التي لا يراها احد. حديقتها جميلة غنّاء تحظى باهتمام بالغ من سيدة البيت، ولا تسمح حتى لزوجها او زوجة ابنها القيام الا ببعض الأعمال الثانوية فيها. اما هي نفسها فكانت عنوان الأناقة والاعتناء بالذات، لا تترك أي مجال على الاطلاق حتى لناقد محترف...

وكذلك فان ثمة دلائل متعددة على ان جوليا لم تكن زوجة ومدبرة منزل مثالية فحسب. بل كانت ايضا أما تتصف بهدوء وحكمة مع ابنها. لم تسأله ابدا عن تلك الشابة التي أحضرها مرة الى البيت قائلا انها زوجته. لم تعلق على تصرفاتها او تستفسر عن العلاقة القائمة بينهما. كما انها تقبلت دون اعتراض او تردد رغبة ابنها في تأمين غرفتين منفصلتين له ولزوجته. لم تقل شيئاً مزعجاً لتانيا عندما ذهب ابنها بعد بضعة أيام من احضار زوجته الى البيت، او طوال السنوات العديدة التي تلت رحيله. ومع ذلك، كانت تانيا تشعر بأن جوليا لا تتحمل وجودها في البيت الا بسبب جون... الذي أصبح محور حبها واهتمامها ورعايتها. كانت تحس دائماً بشيء من البرودة في صوت جوليا كلما تحدثت اليها. لم تشعر ابداً بأن تلك السيدة التي تعيش واياها تحت سقف واحد تكنّ لها اي محبة او صداقة.

اما والد جايك، جاي دي لاسيتر، فهو مختلف تماماً. قالت تانيا مرة بسخرية لاذعة ان بامكان جايك ان يسحر الأفعى. ولما التقت جاي دي، علمت ان زوجها ورث تلك الشخصية الساحرة الجذابة عن والده. الا ان الوالد كان أكثر لباقة وانفتاحاً مع مشاعره وأحاسيسه. عندما أتت الى البيت للمرة الأولى ومعها جون الصغير، أعرب جاي دي صراحةً عن تشككه بها واعتراضه الشديد على زواج ابنه منها. لم يكن لدى تانيا أي شك في ان جاي دي رجل قوي يعتبر كلامه أوامر عسكرية، كما انه رجل أعمال خارق الذكاء وخبير معترف به في حقله. ولأنه صاحب قدرة فائقة على تحليل الشخصيات

والصفات، فقد لاحظ تحولها من فتاة تخرجت لتوها من المدرسة ولا تعرف الكثير عما يدور حولها الى سيدة شابة رائعة ذات شخصية قوية وذكية.

وبدأت معارضته لها تتحول تدريجاً الى احترام واعجاب. منذ لها قبل خمس سنوات يد صداقة هادئة. ومع انه لم يسألها ابداً عن علاقتها مع جايك، كانت تشعر بأنه يعرف الظروف التي أحاطت بزواجها. انه لا يعرف بالطبع الحقيقة كاملة، فتلك السر لم وحدها وهي تحافظ عليه حفاظها على ابنها. ومع ذلك، فذكاء جاي دي وعاطفته الفياضة جعلا اقامتها في ذلك البيت امراً يمكن تحمله. الا انها كانت على استعداد للعيش في اي جحيم يمنح ابنها اسماً، وعائلة، ومستقبلاً.

كانت جوليا جهزت المائدة ووضعت عليها أطباق الصنف الأول، عندما وصلت تانيا الى المطبخ. اعتذرت منها لوصولها متأخرة، الا ان سيدة المنزل تفادت التعليق على ذلك ودعتها مع الآخرين الى تناول العشاء. وفيما كان جون يحاول الجلوس قرب جدته، كان جاي دي يمسك كرسي تانيا ويساعدها على الجلوس تأدباً واحتراماً. ابتسمت تانيا للرجل الجالس الى الجانب المقابل من المائدة، وشعرت بسرور بالغ عندما وجه اليها ابتسامة عاتبة وقال:

ـ انت تبدين رائعة في هذا الفستان. وهذا لا يعني انك لست رائعة عندما ترتدين أي شيء آخر.

نظرت الى وجهه الوسيم وتأملت بسرعة ملامحه القوية البارزة. ثم قالت له بصوت دافئ، ولهجة مهذبة:

ـ أنت كريم النفس الى درجة كبيرة. ولكن الفتاة تحب سماع مثل هذه الكلمات، مهما كانت غير صحيحة.

تبادلا النظرات الدالة التي تحمل معها الكثير من المعاني، والتي لا يمكن تجاهلها. كان جاي دي وجوليا يقيمان باستمرار حفلات مختلفة لكبار المسؤولين في الشركة. وأصبح من المتعارف عليه ان تكون تانيا

رفيقة باتريك في هذه المناسبات. فزوجها موجودة في افريقيا الى اجل غير مسمى، وباتريك مطلق منذ ثلاث سنوات ولا يمكنه العودة الى زوجته لأنها تزوجت رجلاً آخر. حددت تانيا دائماً الحد من مشاعرها وأحاسيسها تجاه هذا الرجل الوسيم والجذاب. وعلى الرغم من انهما لم يتفوها بأي كلمة سرية اثناء المرات القليلة التي التقيا خلالها على انفراد، كانت تانيا تعلم ان العلاقة بينهما ليست كأي صداقة تقوم بين شخصين عاديين. كان كل منهما يشعر بوجود الشخص الآخر الى درجة كبيرة، ولكن اخلاقها وتربيتها المحافظة لم تسمح لها بنسيان عالم الزواج وقسم الاخلاص والوفاء... بغض النظر عن تصرفات الرجل الذي تعهدت النفس على حمل اسمه ونسبه. سألته بهدوء:

ـ اخبرني، يا باتريك، الى أين ذهبت هذه المرة؟ لم اعرف انك كنت غائباً عن البلاد.

ـ كانت رحلة مفاجئة الى اسكتلندا. ثم توجهت الى غرب افريقيا.

أحس جاي دي بالانزعاج الطفيف الذي شعرت به تانيا، فتدخل قائلاً:

ـ من القوانين المتبعة في هذا البيت، يا باتريك، ان جوليا لا تسمح للجالسين الى مائدة الطعام بالتحدث عن امور العمل.

ثم ابتسم لزوجته وقال لها بمرح، محاولاً تحويل الاهتمام الى موضوع آخر:

ـ لا يمكن لأي انسان ان يحول انتباهه الى امور اخرى وهو يتناول هذا الحساء الشهي بلذة. انه حقاً رائع... كالعادة. الا ان جون أعاد المسألة الى نقطة الصفر عندما سأل بحماس واضح:

ـ هل قلت انك ذهبت الى افريقيا، يا عمي باتريك؟

تدخلت تانيا بسرعة وقالت لابنها:

ـ جون! الا تسمع ما قاله جدك؟ انتظر حتى تنتهي من تناول

الطعام.

- حسناً، يا أمي.

شعرت تانيا بأن احتمام ابنها القاطع، بأنه سوف يضجر بسرعة، وبمجرد إخلاء الطاولة من صحون الحلوى. لم تكن على استعداد ابداً للاعتراف امام بقية أفراد العائلة بعزمها على توجيه رسالة إلى جايك تحثه على العودة. نظرت إلى جوليا فلاحظت انزعاجاً طفيفاً. تصورت انه ناجم عن تحدثها بقسوة لا مبرر لها مع ابنها الصغير الذي لم يكن يريد إلاّ ان يسأل عن والده. اعترفت لنفسها بأن هذه هي الحقيقة، ولكنها لم ترد ان يفسد لها ذكر اسم جايك حفلة العشاء الهادئة. عاد جاي دي إلى التحدث بأسلوبه الذكي:

- قبل وصولكما أنت وجون هذه الليلة، كنا نبحث احتمالات اقامة حفلة عشاء صغيرة بمناسبة عيد زواجنا الخامس والثلاثين.

قالت له تانيا موافقة:

- اعتقد انها فكرة ممتازة.

- اني مسرور لسماع ذلك. ظنت جوليا ان اقامة حفلة في منزلنا بمناسبة عيد زواجنا فكرة سيئة، مع انها عادة تسعى بكل جهدها لإقامة الحفلات.

ابتسمت تانيا ووجهت كلامها الى والدة زوجها قائلة:

- اذا سمح لنا الطقس، يا جوليا، فان بامكاننا اقامتها في الحديقة حيث تكون جميع أزهار الربيع في أبهى حلة وأجملها. أتصور ان ذلك سيكون أفضل بكثير من اقامتها داخل البيت.

- وسوف تعدين لنا ذلك النوع من السمك الذي يحبه زوجك كثيراً.

هيمنت موضوعات الضيوف وأطباق الطعام وكيفية تجهيز الحفلة على أحاديث الراشدين الأربعة. وفيما كانت جوليا تقدم القهوة، رن جرس الهاتف في غرفة الجلوس. ولما علمت جوليا من المتحدث انه يريد التكلم مع جاي دي، ابلغته بذلك وطلبت اليه احضار فنجان

القهوة معه. ولأن جون الصغير ذهب قبل ذلك الى غرفته، ظل باتريك وتانيا وحدهما . . . على انفراد. سألته بشيء من العصبية:

- قل لي، يا باتريك، هل التقيت جايك عندما كنت في افريقيا؟

نظر اليها بسرعة وكأنه يحاول تجنب نظراتها الحادة، وقال:

- نعم، نعم. التقيته هناك.

- كيف يسير ذلك المشروع الذي يعمل فيه؟

كانت تعرف تماماً انها تخشه بهذا السؤال، وذلك كي تعلم منه فرص قبول جايك الدعوة التي ستوجهها اليه للعودة الى البيت. سألها باتريك ببرودة:

- أي منهما؟ الذي بدأ بنبيه أم الذي أخذه قبل فترة وجيزة؟

احست بارتياح عظيم وتنهدت بقوة دون ان تدري. ثم قالت:

- لم أعلم انه يعمل على مشروعين مختلفين. من المؤكد اذن انه منهمك جداً في العمل.

- لوني دانفرز مساعد قدير جداً، ولكنه لا يزال يتحتم على جايك التنقل دائماً بين مراكز المشروعين. هذا في الوقت الحاضر، على الأقل.

سرّت تانيا كثيراً بعودة جوليا لأنها انقذتها من الاضطرار لشرح الأسباب التي تحدوها لتوجيه مثل هذه الأسئلة. وكان واضحاً ان باتريك على وشك الاستفسار عن سبب اهتمامها المفاجيء. دخل جاي دي بعد لحظات من عودة زوجته، ثم ابتسم باعتذار لتانيا وغرق في حديث هام مع باتريك حول شؤون العمل. وفيما بدت جوليا منهمكة في ترتيب بعض الأمور، راحت تانيا تراقب باهتمام الرجل اللتي تعرفه منذ بضع سنوات . . . وبخاصة لأن عودة جايك الى الولايات المتحدة بدت الآن غير قريبة اطلاقاً.

لاحظت تانيا خلال سنوات اقامتها مع جاي دي وجوليا ان عدداً كبيراً من الاشخاص يحاولون استغلال ثروتها ونفوذها. الاّ ان احد الأمور الاولى التي اعجبتها في باتريك رايتز كان رفضه المراوغة مع

حاد في او توجيه كلمات الاطراء الفارغة له. كان سيد نفسه ولم يتردد مرة في الاعراب عن وجهة نظر مناقضة لأفكار رئيسه... والاصرار عليها. ولكنه لم يكن مستقلاً تماماً بحيث انه يتطلب نصيحة الكهل المحنك والاستفادة من خبرته... اذا شعر بأي ضرورة لذلك. ولاحظت تانيا ايضا ان ما يجذبه في ذلك الرجل الوسيم لم يكن مجرد الذكاء الحاد والجاذبية الساحرة. وفجأة أحست بيد صغيرة تلمس كتفها، وبصوت ناعم يقول لها:

- هل يمكننا الذهاب لاصدقائنا الآن، يا أمي؟

سألته بصوت مرتفع قليلاً لفت انتباه الرجلين:

- لنلعب وبعد ماذا، يا حبيبي؟

- أريد ان اكتب رسالة الى أبي أطلب فيها منه الحضور الى البيت بمجرد حصوله على اجازة.

تأملت تانيا زهوه واعتزازه، فيما احمرت وجنتاها خجلاً عندما شعرت بأن عيون الآخرين مركزة عليها. لم يكن باتريك يعرف شيئاً عن العداء المستحكم بينها وبين زوجها الا افتراضا. أما الوالدان فكانا يعرفان الحقيقة، وانتظرا بالتالي رد فعلها على حجة ابنها. تدخلت جوليا بحزم قائلة:

- اعتقد انها فكرة ممتازة، يا جوني.

كانت نظرتها مليئة بالتحدي لتانيا، فكيف يمكنها بعد هذا الكلام الا ان توافق!

ابتسمت بصعوبة وقالت بهدوء بالغ:

- وانا ايضاً يا حبيبي، والا لما كنت اقترحت ذلك على جوني.

لم تكن راغبة في متابعة النقاش او الرد على اي اسئلة قد تكون محرجة. وقفت وأمسكت بيد ابنها ثم خرجت وإياه بهدوء من قاعة الجلوس. وما وصلا الى القاعة الصغيرة المحاذية لغرفة نومها، سألها جوني بتردد:

- تريدين كتابة الرسالة، أليس كذلك؟

ابتسمت له وهي تحاول اخفاء امتعاضها. ولكن لماذا القلق؟ ألم تفهم من باتريك ان ثمة احتمالاً ضئيلاً في امكانية حضور جايك او قدرته على ذلك؟

- نعم، يا حبيبي. سنكتبها معاً.

بحث جوني في جيب قميصه واخرج صورة فوتوغرافية قائلاً:

- يمكننا ايضا ارسال هذه الصورة اليه. أخذها لي جدي عندما حصلت على دراجتي الجديدة. أريد ان يعرف ابي كيف أبدو هذه الايام.

لم يكن جوني وحده في تلك الصورة، بل كانت هي معه ايضاً. كان شعرها الذهبي يتطاير في الهواء، وتبدو كاحدى ارقى سيدات المجتمع. لم تكن راغبة في ارسال تلك الصورة، مع ما في ذلك من غرابة. قالت له بهدوء ورقة:

- توجد مع والدك صور لك اخذت في المدرسة.

- ولكنني لا أشبه نفسي فيها وكنت فاقداً أحد اسناني. أرجوك، الا يمكننا ارسال هذه الصورة الحديثة؟

كانت عيناه الزرقاوان الجميلتان تنظران اليها بتوسل واستجداء. وأحست بانها لا يمكن ان ترفض طلبه... مهما كان. واعترفت لنفسها بأن جوني اصبح في سن يحتاج معها الى وجود رجل يساعده ويرشده... هذه هي مسؤولية والده قبل كل شيء. كانت تشعر بالذنب لانها حرمت ابنها من أبيه. ولكن ذلك الشعور زال من تفكيرها بعد ساعة من الزمن، عندما كانا ينهيان رسالتيهما الى جايك. كانت رسالته مناشدة قلبية مهذبة لأبيه للحضور الى البيت خلال فصل الصيف. اما رسالتها هي فكانت بسيطة وخالية من اي مشاعر وعواطف. ذكرت له فيها ان جوني بدأ يشكك بجدية بأن له والداً، مضيفة بانه ربما كان من الافضل حضوره لبضعة أسابيع اذا سمحت له اعماله بذلك.

وفيما كانت تلصق الطوابع البريدية المطلوبة، أحست بوخز الضمير. انها تحتقر جايك لاسيتر بسبب ما قام به في الماضي. ولكنها، من أجل جون، مستعدة لتحمل وجوده بضعة اسابيع.. هذا اذا أتى. وكانت تشعر بصورة شبه مؤكدة انه... لن يأتي.

٢ - حفلة المفاجآت

نظر اليها ابنها باعجاب، فيما كانت تضع له جهاز التلفزيون الصغير فوق مكتب صغير في غرفة نومه، وقال:

- انك جميلة وأنيقة، يا أمي.

- هل يعجبك الفستان؟ اشتريته خصيصاً لحضور حفلة الليلة بمناسبة عيد زواج جديك.

تنهد الصبي وقال:

- انه رائع. اوه، كم اتمنى حضور هذه الحفلة!

- وتصور البرامج التلفزيونية التي لن تراها. اعتقد ان فيلم الليلة هو عن رحلة البحر.

- حقاً؟

قاما بحماسة ظاهرة لأنه يحب هذا النوع من الأفلام السينمائية، في حين ان معظم البرامج الأخرى تضجره وتزعجه. ابتسمت له والدته وقالت:

- اعتقد ان بعض الضيوف وصلوا بالفعل. سوف تكون على ما يرام، اليس كذلك؟
- بالتأكيد.
- تطفأ الأنوار في تمام العاشرة. سأعود لأتأكد من ذلك.

ابتسم جون لأمه فيما كانت تغادر غرفته، وقال لها:

- حسناً، يا امي. في العاشرة وخمس دقائق سأكون غارقاً في نوم عميق.

كان جون يشعر انه لم يعد بحاجة لمن يضعه في السرير ويساعده على النوم، مع ان اياً منهما لم يكن حقاً راغباً في التخلي عن تلك العادة الرقيقة.

كانت الغرف التي تستخدمها تانيا وجون موجودة في جناح منفصل مخصص اصلاً لاستقبال الضيوف. وكان ذلك الجناح كشقة مكتملة لا ينقصها شيء سوى المطبخ، الأمر الذي يمنحها حرية التصرف والتنقل دون ازعاج من الآخرين.

وكان البيت ذاته، المبني من الحجارة والأخشاب على طراز بيوت المزارع الاميركية الكبيرة، يقع على قطعة من الأرض تمتد كأصبع في بحيرة تايل روك. وكان امامه حوض خاص به وعميق ليخت العائلة. لم تكن هناك بيوت قريبة، لأن جاي دي ابتاع قطع الأرض المجاورة ليضمن لنفسه ولعائلته الابتعاد عن الضجيج وازعاج الجيران. وكانت اي دعوة لحضور حفلة هناك تعامل باهتمام بالغ وتلبى دون تردد. ولما كان المنزل وحديقته يعجان بالضيوف تلك الأمسية.

دق جرس الباب فقالت تانيا لجوليا القادمة من المطبخ انها ستفتح الباب وتستقبل القادمين. دخل باتريك وايتز ومعه فتاة جميلة ذات

شعر اسود داكن تزين اصابعها بثلاثة خواتم جميلة. مدت تانيا يدها لمصافحة شقيقة باتريك قائلة:

- شيلا انا مسرورة جداً لتمكنك من الحضور. فستانك رائع للغاية.

نظرت اليها شيلا مقيّمة شكلها، وفي عينيها شيء من الحسد و نظرة اخرى لم تفهمها تانيا، وقالت لها:

- انه فستان تعيس جداً بالمقارنة مع فستانك انت، يا تانيا.

كانت شيلا اصغر منها بأربع سنوات، الا ان تانيا لم تشعر ابداً بانها مقبولة لدى شقيقة باتريك. واحست بانه ربما كان عليها الليلة ان تستقبلها ببرودة وكبرياء، لأن نظرات الفتاة الأخرى كانت اشد قساوة مما في السابق. وفيما لاحظت تانيا ان باتريك يراقب باهتمام واعجاب فستانها الجميل وفتحة العنق الكبيرة الى حد ما، سمعته يسألها:

- انا لم نتأخر كثيراً، اليس كذلك؟
- لا، ابداً. الآخرون موجودون في الحديقة.

خرج الثلاثة معاً من الباب الزجاجي، فاعتذر جاي دي من الشخصين اللذين كان يتحدث معهما وأتى للترحيب بالقادمين الجدد. حضرت زوجته بعد دقائق قليلة ومعها طبق جديد من المقبلات الشهية التي اعدتها بنفسها.

وامضت تانيا الدقائق الثلاثين التالية منهمكة في فتح الباب الرئيسي واستقبال الضيوف، بالاضافة الى مساعدة والدة زوجها في اعداد الطاولة الكبيرة واستبدال الصحون بأخرى نظيفة... عندما اقترب منها باتريك وطالبها بالجلوس معه على احد المقاعد الخشبية المنتشرة في ارجاء الحديقة. وضع ذراعه على الوسادة الخلفية للمقعد، وبشكل قريب جداً من كتفيها. احست بشيء من الانزعاج الا انها حافظت على رباطة جأشها ولم يظهر على وجهها ما يدل على حقيقة شعورها.

ـ لا اعرف لماذا لا يستخدم الرجل العجوز اشخاصاً متخصصين باعداد الحفلات وخدمة الضيوف. الا يوفر ذلك عليكِ، انت وجوليا، الكثير من التعب والارهاق؟

تنهدت تانيا وقالت له:

ـ ولكن الفضل في نجاح الحفلة لن يعود عندئذ لجوليا. هذا كلام قاس، ولكنه صحيح. فحتى لو احضر جاي دي فريقاً متخصصاً، فانها ستصر على مراقبة كل خطوة بنفسها. هذه هي طبيعتها.

ـ وما هي طبيعتك انت؟

ـ طبيعتي انا؟

توقفت لحظة وتطلعت نحو الاشخاص الأربعين اللذين كانوا يسرحون ويمرحون في الحديقة، ثم اضافت بهدوء:

ـ كنت على الارجح سأدعو ربع هذا العدد واشوي لهم شرائح اللحم على الفحم.

ابتسم باتريك وقال:

ـ انتظر منك دعوة الى حفلتك القادمة. انها ستكون بالتأكيد رائعة ودافئة.

ـ سأفعل ذلك.

لم تعد تتحمل النظر الى عينيه وفمه، فأدارت وجهها عنه وقالت:

ـ انها امسية جميلة للغاية، أليس كذلك؟

ـ جداً، واختيار هذه المقطوعات الموسيقية موفق الى حد بعيد ويدل على ذوق رفيع.

استمعت تانيا بانتباه الى المقطوعة الهادئة الحالمة، وتمنت من صميم قلبها ان يضمها رجل الى صدره... ولو لفترة قصيرة. وكأن باتريك احس بما يدور في رأسها، سألها بنعومة ورقة:

ـ كم من الحواجب تظنين سترتفع استغراباً ودهشة اذا رقصنا في تلك الزاوية قرب مكبرات الصوت؟

ـ ربما جميعها.

امسك بيدها ثم قال لها وهو يهب واقفاً:

ـ لنجازف.

تصورت تانيا انهما يرقصان وراء جدار سحري يصد نظرات الآخرين عنهما. الا ان احدا لم يتطلع نحوهما، باستثناء شيلا. وتساءلت عن آخر مرة كانت فيها بين ذراعي رجل، فلم تجد الجواب. لم تعترض على ضمها اليه بقوة، لا بل انها ارادت القاء رأسها على صدره. ولكنها امتنعت عن ذلك، مع انها سمحت ليدها بالوصول الى ما بين كتفيه.

ـ تانيا!

ايقظها صوته الناعم من احلام اليقظة فرفعت رأسها ونظرت الى وجهه البرونزي الجميل. كانت قريبة منه الى درجة خطرة وكاد وجهها يشع ببريق السرور والارتياح.

ـ انك رائعة الجمال.

احست بأن قلبها يغوص في مكانه. وشعرت في لحظة الضعف تلك انها تريد نسيان عهد الوفاء والاخلاص الذي قطعته على نفسها قبل سنوات عدة. ولكن اللحظة مرت بسرعة. رفعت اصبعها الى فمه وقالت له:

ـ باتريك، لا تقل شيئاً.

امسك باصبعها وقبله بحنان، ثم قال لها وهو يتأمل عينيها الحالمتين:

ـ لم اقل شيئاً منذ اكثر من سنة. ولكن... هل من الضروري ان اقول شيئاً؟ انت وانا شخصان راشدان وليس علينا ان نلعب او نناور.

كيف يمكنها ان تجادله بطريقة مقنعة؟ من المؤكد انه سيذكرها بأن زواجها ليس الا كلمات قليلة سجلت في كتاب...

ـ يجب الا تقول شيئاً، ارجوك. لن تتمكن من اقناعي بأي امر.

نظر اليها بحنان وقال بلهجة اقرب الى المناشدة منها الى الدعوة:

ـ تناولي معي العشاء في الاسبوع المقبل. سالتقك في اي مكان تختارين.

هزت رأسها نفياً واكدت له بلهجة ضعيفة مرتبكة:

ـ لا . . . لا يمكنني ذلك.

خيم الصمت بضع لحظات قاسية ثم سألها بذهول حزين:

ـ هل كنت مخطئاً في تقديري للأمور؟ الا اعجبك؟

انتهت القطوعة الموسيقية في تلك الآونة، فسحبت تانيا نفسها من بين ذراعيه اللتين لم تقاوما خطواتها. احست بأنه كان عليها الانضمام الى بقية المدعوين. ولكن الغناء على ما يبدو منعها من وضع حد لذلك الحديث الذي لا يجدي.

ـ وهل يعقل الا تعجب اي امرأة؟ انك رجل قوي ووسيم وجذاب . . . صفات لو اجتمعت في رجل واحد، لوجدت اي امرأة صعوبة فائقة في مقاومتها. اني اجدك جذاباً للغاية، يا باتريك. ولهذا السبب بالذات، ارفض الاجتماع بك خارج محيط هذا المنزل.

سألها بلهجة غاضبة قليلاً:

ـ ما هي هذه السيطرة المجنونة التي يفرضها جايك لاسيتر؟ ماذا تخافين من رجل لم تشاهديه سوى سبعة ايام من اصل سبع سنوات؟

كانا لا يزالان واقفين في تلك الزاوية الصغيرة، بعيداً عن بقية الضيوف. قالت تانيا لنفسها انها غير قادرة على الافصاح عن السبب الحقيقي لزواجها الفاشل، حتى لباتريك الذي اصبحت تحبه الى حد. تنهدت وقالت له بحزم وقوة:

ـ ليس لجايك اي سيطرة علي. انا اقرر مجرى حياتي بنفسي.

ـ وليس لي الحق بالتدخل في شؤونك، حتى ولو كنت راغباً في جعلها شؤوني انا ايضاً؟

تسمرت تانيا في مكانها وشعرت بأنها وحدها وليس هناك من تستند اليه. ولكن باتريك رجل قوي جداً، قوي الى درجة كبيرة. فلماذا لا تستند اليه؟ اطبقت شفتيها بقوة كيلا تصدر عنها كلمات

الاستسلام والضعف. اقترب منها وهو يقول لها بصوت دافىء ولهجة منطقية مقنعة:

ـ جون بحاجة الى والد حقيقي، وليس الى والد بالاسم . . . كما هي الحال مع جايك.

ردت عليه بصوت مرتجف يشوبه القلق وعدم الثقة:

ـ انت لست منصفاً في كلامك هذا يا باتريك.

ـ كل الانصاف، يا تانيا.

ـ اعذرني، يجب ان اذهب الى غرفة جون لأتأكد من ذهابه الى النوم.

تركته بسرعة لأنها خافت من الاستسلام لذلك الاغراء القوي الذي كان مسلطاً فوق رأسها. وما ان وصلت الى الباب الزجاجي، حتى اعترضتها جوليا قائلة:

ـ انا بحاجة للمزيد من قطع الثلج، فهل يمكنك احضارها لنا؟

ـ انا سأحضرها، لأن تانيا ذاهبة الآن الى غرفة جون.

استغربت تانيا لأنه لم يكن الا على بعد خطوتين وراءها. شكرته جوليا باسمة ثم قالت لزوجة ابنها:

ـ قبّلي جون عني واخبريه اني اتمنى له ليلة سعيدة وهانئة.

ـ سأفعل ذلك يا جوليا.

مضت جوليا في سبيلها، فالتفتت تانيا الى باتريك وقالت له:

ـ توجد أكياس جاهزة في الثلاجة. اظن ان اربعة منها تكون كافية في الوقت الحاضر.

استدارت نحو غرفة الصبي، ولكن باتريك امسك بذراعها وجذبها الى احدى الزوايا حيث ضمها بقوة الى صدره. تحركت شفتاها اعتراضاً واحتجاجاً. ولكن دون جدوى. حبست انفاسها ولم تقل شيئاً عندما سمعته يتنهد بسرور وارتياح. امسك رأسها بيديه القويتين ورفع وجهها نحوه، ثم قال متمتماً:

ـ من المؤكد ان جايك فقد عقله كي يترك امرأة جذابة ورائعة

مثلك بعيدة عنه.

ـ نعم انا مجنونة لاني فعلت ذلك!

شهقت تانيا مذعورة وسلخت نفسها بسرعة من بين ذراعي باتريك. عرفت على الفور ذلك الصوت المتغطرس المهين، الا انها ظلت تحدق مذهولة بصاحبه وهي لا تصدق عينيها او اذنيها. وسمعت باتريك يقول:

ـ انت تركتها منذ زمن بعيد، يا لاسيتر. انها لم تعد لك.

لم يعلق جايك على هذه الكلمات بشيء، ولكنه ابتعد عن العامود الذي كان يستند اليه ووقف في مكان اكثر انارة. كانت تانيا تراقبه وهي تشعر بخوف يسد حلقها، ولكنها لا تعرف تفسيره او وصفه. بدا لها اطول واضخم مما كانت تتصوره وتتذكره. نظر اليها بعينين فولاذيتين باردتين وقال لها بلهجة الأمر:

ـ تعالي الى هنا يا تانيا.

اذهلها ظهوره المفاجيء لدرجة انها لم تعد قادرة على التفكير او التصرف. اقتربت منه بخطوات بطيئة، ثم توقفت وراحت تتأمل وجهه والتغييرات التي طرأت عليه طوال السنوات الأربع التي لم تره فيها.

كان الوجه ارق واكثر نحولاً، ولكن الملامح اقسى واشد تعنتاً. حلت تجارب الحياة المرهقة محل النعومة والنضارة، الا انه لا يزال وسيماً وجذاباً للغاية. ورجولته طاغية على كل شيء آخر. كان يتأملها ويتفحص وجهها وملامحها بدقة عاقلة. لم يرفع نظره عنها عندما قال لباتريك بسخرية لاذعة:

ـ يمكنك الذهاب الآن يا رايتر.

اخرجها صوت اقفال الباب الزجاجي من صدمتها، فقالت له باشمئزاز:

ـ لم يتغير شيء على الاطلاق.

امسك كتفيها بقوة وشتم بقسوة، فيما كان يغرز اصابعه في

جسمها:

ـ ايتها المرأة اللعينة! كنت اتوقع من زوجتي استقبالاً افضل بكثير من هذا الاستقبال البارد!

ضمها اليه بعنف ثم امسك يديها اللتين كانتا على وشك الانقضاض على عينيه. وضع ذراعيها وراء ظهرها ولم تتمكن من المقاومة على الرغم من محاولاتها اليائسة. كان يتلذذ بايذائها وايلامها. ثم تركها فجأة وفي عينيه نظرة ارتياح وسعادة لأنه انتصر عليها بمثل هذه السهولة والبساطة. ضحك بصوت عال عندما رأى نظرات الحقد الملتهبة في عينيها وسألها ساخراً:

ـ ما بك؟ الم اكن ناعماً ورقيقاً معك؟

بصقت في وجهه وصفعته على خده بقوة صارخة:

ـ حيوان! متوحش!

قبض على يدها الجانية بعصبية وعنف. وضغط على اصابعها بوحشية حتى كاد يطحنها، فيما امسكت يده الاخرى بشعرها واحنى رأسها امامه قائلاً:

ـ كنت اعرف ان هذا الرقي الذي تتظاهرين به، ما هو الا حجاب شفاف تخفين نفسك الحقيقية وراءه. انك لا تزالين تلك القطة المتوحشة ذاتها التي احضرتها الى هذا البيت قبل سبع سنوات.

صرخت به والألم يكاد يفقدها وعيها:

ـ دعني! اتركني!

ـ اتركها يا بني.

سمعت تانيا صوت جاي دي الناعم المتقد يأتي من جهة الشرفة. ولكن الانقاذ لم يأت سريعاً، لأن جايك قال لوالده بغطرسة ساخرة:

ـ بعد قليل، يا ابي. اريد التأكد من ان زوجتي تعرف قيمة وجودي في البيت.

خفف قليلاً من ضغطه على اصابعها ورأسها فأدركت انها سوف تتحرر خلال لحظات من معاملته اللاانسانية. وما ان افلتت نفسها

للافلات من قبضته حتى عاد يشدها اليه بعنف وشدة. لم تستجب له ولكنها لم تقاوم. اشتعلت نار الرغبة في داخلها . . . انها تريده! ولكنه انسان لا يطاق . . . انه ليس انساناً! ابعد وجهها قليلاً ثم وضع اصبعاً على انفها وقال مداعباً بخبث اثار غضبها:

ـ هكذا يتم استقبال الرجل العائد الى بيته، يا حبيبتي.

لم تتمكن من الرد عليه، لأنه مشى نحو والده وهو يقول:

ـ اني مسرور بعودتي يا ابي.

تأملت تانيا العناق الحار بين الابن وابيه، فيما كان جسمها يرتجف حنقاً وغضباً.

ـ لا يمكنك، يا بني، تصور مدى سعادتي برؤيتك. تأخرت كثيراً في العودة يا جايك.

ـ كان هذا الموضوع يقض مضجعي كثيراً خلال اليومين الماضيين. وتأكدت لي هذه الليلة، اكثر من اي وقت مضى، ضرورة العودة.

رفضت الرد على اشارته المؤلمة الى ما شاهده قبل لحظات، عندما كانت مع باتريك. ومما زاد من حدة غضبها الصامت انها لاحظت من طريقة معاملته لها ان جايك لم يكن يعيش كناسك متعبد بعيد عن النساء.

ـ ستكون الوالدة سعيدة جداً برؤيتك.

ثم هز جاي دي برأسه مرة اخرى وكأنه لم يصدق بعد عودة ابنه، وقال بصوت غالب عليه التأثر:

ـ اللعنة على هذه الحفلة! كم اتمنى لو ان باستطاعتي ارسال جميع الضيوف الى بيوتهم.

ابتسم جايك وقال لوالده:

ـ وكنت اظن انك ستنحر الخراف ترحيباً بعودتي.

ـ طبعاً كنت سأفعل ذلك. هل كنت تعرفين، يا تانيا؟ هل هذه هي هدية عيد زواجنا؟

كان يبدو سعيداً للغاية، ولكنه كان يتأملها بتفحص للتأكد من انها لم تصب بأي اذى نتيجة تصرف ابنه القاسي. وجهت اليه ابتسامة خفيفة ولكن صادقة ومخلصة في حرارتها، ثم قالت:

ـ كانت مفاجأة لي بقدر ما كانت لك.

ـ هذا صحيح، يا ابي. وربما كانت مفاجأتها اكبر واشد.

شاهدت تانيا القسوة الفولاذية تشع في عينيه، فنظرت اليه بتحد شجاع. كنت غاضبة لو ان بامكانها ايجاد وسيلة لانهاء هذه التعليقات المزدوجة المعنى، دون النزول الى مستوى الرد عليها بالمثل. احس جاي دي بتوتر الجو بينهما، فاقترب منها ووضع ذراعه بحنان على كتفيها قائلاً لابنه:

ـ زوجتك جوهرة حقيقية، يا جايك. وذلك الصبي ابنك . . . اوه، انه رائع . . . ويجعلنا نشعر انا ووالدتك بأننا في عمر الشباب.

فتح الباب الزجاجي فجأة، فتحولت العيون الست الى السيدة القادمة من الحديقة. ابتسم جايك وقال لها بهدوء:

ـ مرحباً يا امي.

فركت جوليا لاسيتر عينيها ظناً منها انها في حلم، ثم تقدمت نحوه بتمهل وهي تردد:

ـ جايك! جايك! جايك!

ـ ها قد عدت يا امي. عيد سعيد.

طوّق الوالدة السعيدة الباكية بذراعيه، ووجه اليها ابتسامة ناعمة وساحرة قائلاً:

ـ كفى بكاء يا امي. لا اريد ان تشوه الدموع وجه اجمل ام في الدنيا.

ابتسمت الام بحنان وقالت:

ـ اني سعيدة للغاية. متى عدت؟ هل كنت تعلم بعودته يا جاي دي؟

ـ لا يا عزيزتي، لم تكن لدي اي فكرة على الاطلاق.

طبع جايك قبلة طويلة على خد والدته المبلل بالدموع وقال:
- لم ابلغ احداً بعودتي، فحالة حدوث شيء يمنع ذلك.
نظرت جوليا بسرعة الى تانيا وكأنها تتساءل عما اذا كانت الزوجة الشابة سوف تحمله على الملعب مرة اخرى. وسألته بهدوء حذر:
- ستبقى طويلاً هذه المرة، اليس كذلك؟
- لا اعرف بالتأكيد.
- اوه، جايك، ارجوك يجب ان . . .
وضع جاي دي ذراعه عن كتف زوجته وقال لها:
- اهدأي قليلاً ايتها العزيزة. لنترك بحث هذه الأمور الى وقت لاحق، ونكتفي الآن بالشكر والامتنان لانه تمكن من المجيء.
بدا لتانيا ان افراد عائلة لاسيتر الثلاثة يشكلون دائرة تقع هي خارج محيطها. كانت تعرف دائماً انها لا تنتمي الى هذه العائلة الا بالاسم، وان افراد العائلة لا يتحملون وجودها الا بسبب جوي. وقالت لنفسها انها لا تريد منهم اكثر من ذلك . . .
هيمنت جوليا على الحديث، فانسحبت تانيا بهدوء متعللة بالذهاب الى غرفة جوي للاطمئنان الى نومه. توجهت الى غرفتها على الفور، وما ان دخلتها حتى اغلقت الباب وراءها، واستسلمت لعزلتها ووحدتها. واعترفت لنفسها بأن وصول جايك غير المتوقع ادى الى توتر اعصابها بصورة ملحوظة. نظرت الى المرآة الموجودة على الحائط، فتصورت ان ذلك الوجه يسخر منها ومن مشاعرها.
قبل اسبوعين فقط، كانت تجلس على صخرة قرب قمة جبل ديبي بولد وتعترف بحاجتها المتزايدة لرجل يحبّها ويتيّم بها. وسخرت تانيا باستهزاء ومرارة من وضعها الحالي. فبعد سبع سنوات من الجفاف العاطفي لم تعرف خلالها معنى المداعبة او الغزل، عانقها رجلان مختلفان ثلاث مرات في ليلة واحدة خلال اقل من نصف ساعة. وشعرت بأَلم حاد في داخلها، لماذا تتذكر بوضوح مداعبة جايك الاستفزازية، في حين انها لا تكاد تتذكر مداعبة باتريك

الرقيقة الناعمة؟ شعرت بالخجل واحتقار الذات. أضعفتها رغبات جسمها الى درجة جعلتها تتجاهل العقل والمنطق، واثيرها معانقة محمومة من رجل تحتقره وتشمئز منه. كانت تعتقد دائماً انها تمارس سيطرة كاملة على احاسيسها ومشاعرها. ألم تفعل ذلك طوال سبع سنوات؟
تعرّضت بالطبع لظروف معينة. الها قبل لحظات قبلة القصاص المهين الذي حق بها نتيجة لمغازلته الأولى، هذا اذا كان بالامكان وصفها بذلك. كما انها صدمت بعودته المفاجئة ومشاهدته ما حدث ما بين ذراعي باتريك. واضاف هجومه القاسي عليها سلاحاً جديداً ساعد كثيراً على تحطيم الحاجز الدفاعي الذي كانت تقيمه . . .
أقنعت تانيا نفسها بأنها اصبحت الآن قادرة على معالجة الأمور بهدوء وروية فحيالات لاسيتر رجل لا يمكن تجاهل خطره. وهو الآن أخطر من السابق لأنه اصبح على ما يبدو لا يعرف الرحمة او الشفقة. النعتها اعماله بأنه سيأخذ ما يريد، وبأن السنوات الطوال التي امضاها في مناطق بدائية أفقدته تلك القشرة الرقيقة من المدنيّة التي كان يتخفى وراءها.
ساعدتها اللحظات القليلة التي امضتها في التفكير والتحليل على التخفيف من حدة غضبها. حملت فرشاة الشعر بيد قوية لا ترتجف وسرّحت شعرها بهدوء بالغ، قبل ان تدخل الى غرفة ابنها عبر الحمّام المشترك الذي يقع بين الغرفتين. كان الصبي يغط في نوم عميق، فوقفت تتأمله بمحبة وحنان. وبعد بضع دقائق، طبعت قبلة خفيفة على جبينه الناعم وهمست:
- تصبح على خير يا حبيبي.
عادت تانيا الى غرفتها بهدوء وحذر كاملين، خوفاً من ايقاظ الصبي. وما ان دخلت واغلقت الباب وراءها، حتى تسمرت في مكانها وحدقت مذهولة بذلك الرجل الطويل القامة الممدّد على سريرها. كان جايك يضع رأسه على يديه وينظر اليها ببرودة

ساحرة. وكان يبدو جذاباً للغاية فوق الغطاء الأزرق الناعم. أثارتها جاذبيته الساحرة ورجولته الصارخة، ولكنها آثرت التصرف بحكمة وروية.

ـ ألن تأمريني بمغادرة سريرك؟

حدقت تانيا الكلمات الغاضبة التي كانت على وشك اطلاقها، وهزّت كتفيها كأنها غير مكترثة بوجوده وقالت له بهدوء، فيما كانت تسير نحو المرآة لتسريح شعرها:

ـ ولماذا أفعل ذلك؟

جلس جايك على حافة السرير، وأصبح بالتالي قادراً على مشاهدة صورتها في المرآة. ثم قال لها:

ـ لم تتوقّعي عودتي، أليس كذلك؟

نظرت اليه بتحدٍ وقالت له بسخرية عاقلة:

ـ لا، لم أتوقّع عودتك.

ـ لا أدري السبب الحقيقي لذلك. لقد شعرت بفرح عظيم عندما استلمت رسالتك.

أغضبها خبثه المزعج ولكنها حافظت على رباطة جأشها وقالت:

ـ يظن من يسمعك تقول هذا الكلام انك لم تستلم أي رسالة مني. كنت أبعث لك برسالة كل أسبوع، وهذا أفضل بكثير مما كنت تفعله أنت.

ضحك جايك وقال لها بسخرية لاذعة:

ـ رسالة؟ هل هذا ما تصفين به تلك الأوراق الصغيرة التي لم تحمل أبداً أي طابع شخصي؟ كانت هذه... الرسالة... أشبه بتقرير موجز تعدّه مديرة منزل أو مربّية أطفال.

ثم راح يردد بتهكم يشوبه الحنق والمرارة بعض ما كانت تكتبه له:

ـ أخذت الصبي اليوم الى طبيب الأسنان! تمتع جون بأول يوم له في المدرسة! بدأ جون يتعلم السباحة! لم تسأليني مرة عن أحوالي او صحتي او أعمالي. مجرد تقارير موجزة وباردة قياماً بالواجب. ما هي

الاحاديث او التعليقات التي كنت تتوقعينها مني على مثل هذه التقارير؟ تعطلت الجرّافة اليوم! فزت في مباراة الشطرنج التي أقامها المهندسون!

ـ ربما لو فعلت ذلك، لما كان جون طلع بتلك الفكرة السخيفة بأنه ليس لديه والد!

ـ كنت ستحبين ذلك. كان سيناسبك جداً لو انني لم أعد. لا بدّ انك تألمت كثيراً عندما اضطررت لكتابة الرسالة الأخيرة التي تذكّرني فيها بواجباتي كأب!

خافت تانيا ان تردّ على كلماته القاسية. لم تثق بقدرتها على التحكم بأعصابها. وامتنعت عن الرد، لأن جوابها سوف يزيد الوضع السيء سوءاً. ولكن عينيها كانتا تقدحان شرراً وهما تراقبان جايك يقترب منها ويقول لها بشكل جارح:

ـ لو أردت التخلي عن مسؤولياتي كوالد، لما كنت تزوجتك في المقام الأول؟ أم انك نسيت ذلك في محاولتك الاحتفاظ بصورة سوداء مشوّهة عني؟

تلاقت النظرات الحاقدة والغاضبة عبر المرآة، ولكن تانيا حافظت على برودة اعصابها المصطنعة وقالت له بهدوء:

ـ أنا لم اقترح عليك الذهاب الى افريقيا، ولم اطلب منك مرة البقاء هناك.

ـ لماذا تزوجتني، يا تانيا؟ لم يكن هناك شيء في عينيك منذ البداية سوى الاحتقار... والتمني الصامت بزوالي الى الأبد. لم تعطي زواجنا اي فرصة للنجاح. هل كان ثمة شيء يحملني على البقاء؟ كان جون طفلاً رضيعاً ما يحتاج الى امه... وليس الى أب. كنت أشاهد بوضوح تام الاحتقار والاشمئزاز كلما نظرت الي.

قالت له ببرودة قاسية:

ـ دعني اذكرك بأمر هام جداً. انا لم أطلب منك ابداً ان تتزوجني. لم اطلب منك سوى الاعتراف بأبوّتك لجون.

ـ لو أعطيتك مالي، لكنت هربت الى أبعد مكان في العالم ومعك ابني كيلا أتمكّن من رؤيته ابداً. سبب زواجي منك هو ذاته الذي يحثني على عدم منحك الطلاق. انا اريد ابني، حتى لو كان ذلك يعني اضطراري لتحمّلك.

أحست تانيا التي احمرّ وجهها غضباً وحنقاً قبل لحظات، بأنه جاء دورها الآن لتضحك بسخرية قائلة:

ـ تريد ابنك؟ انه الآن في السابعة من عمره ولا يعرف حتى كيف تبدو أو ما هو شكلك. انه ليس متأكداً من ان لديه والداً! فكيف تفسّر هذا الأمر وتوفّق بينه وبين هذا الحب الأبوي العظيم الذي تدّعيه الآن؟

توترت قسمات وجهه فجأة، فشعرت تانيا بأن سهامها أصابت مرماها. ثم سمعته يقول لها بجفاف:

ـ مضت سبع سنوات على زواجنا! وكما تقول احدى النكات الطريفة القديمة، يبدو هذا الزواج وكأنه حدث أمس... وأنت تعلمين كم كان يوم أمس تعيساً ومزرياً. لا ادري كيف يمر الزمن بمثل هذه السرعة. أعترف بأنني لم اكن أنوي البقاء طويلاً. ولكن جون اصبح الآن بحاجة لوالديه معاً، كما قلت في رسالتك الأخيرة.

ثم طوّق خصرها بذراعيه وقال:

ـ انت أيضاً كبرت ونضجت، يا تانيا. وهذا الجسم الذي التصقت به الليلة اكثر من مرة لم يعد لفتاة صغيرة، بل أصبح لأنثى جذابة ومكتملة النضوج.

نظرت اليه بطريقة أرادت من خلالها ان يشاهد اشمئزازها من ملامسته لها، الا ان دقات قلبها كانت تقول لصدره وضلوعه اشياء أخرى.

ـ لا جدوى من هذا الحديث يا جايك. واظن ان الوقت قد حان كي اعود الى الحفلة.

ضمّها بقوة أكبر وسألها بعصبية ظاهرة:

ـ هل أصبح باتريك وايلز حبيبك؟

ـ لا!

جاء نفيها الصارخ بأسرع مما كانت تريد، ووافق ذلك احمرار مفاجىء في خدّيها.

ـ كانت الليلة أول مرة...

عضّت على شفتيها لتخنق بقية كلامها، وشعرت بغضب عارم لأن جايك تمكن من استدراجها الى التوضيح والتفسير غير الضروريين.

ابتسم بزهو وانتصار قائلاً:

ـ اذن عدت في الوقت المناسب!

ـ انت لم تعد الا بسبب جون.

ـ تأكدي من انني لن انسى وجودي هنا.

اخذ سترته التي كان وضعها على كرسي وارتداها بهدوء، ثم انحنى امامها بشيء من الاستهزاء وقال:

ـ لننضمّ معاً الى الحفلة.

٣ـ الطفلة

كانت جوليا أول من شاهدها تخرجان من الباب الزجاجي. هرعت نحوهما وأمسكت بذراع ابيها، فيما كانت عيناها تنظران اليه بمحبة وحنان.

ـ هل شاهدت جوني؟

تدخلت تانيا على الفور قائلة:

ـ كان جون نائماً . .

وضع جايك يده على ذراعها برقة وقال مقاطعاً بهدوء ومرح:

ـ شاهدته لدى وصولي. كان يغط في نوم عميق حتى قبل وصول فرقة تنويلة لانقاذ بطله المفضل.

ـ قل لي بربك، يا جايك، أليس جوني صبياً جيداً للغاية؟ انه

نسخة طبق الأصل عن جايك عندما كان صغيراً. انه لاسيّر قلباً وقالباً.

وافق جايك والدته على كلامها ثم نظر الى تانيا وقال لها بلهجة جادة:

ـ انه يبدو صبياً فذاً.

هل هذا اطراء لها او ثناء على حسن تربيتها واهتمامها؟ أرادت ان تقول شيئاً، ولكن الضيوف لاحظوا وجود جايك فتحول تركيزها الى امور أقل أهمية. . . رغماً عنها. كان جميع الرجال يرتدون سترات وربطات عنق. . . باستثناء جايك. بدا قوياً بينهم، متفوقاً عليهم، وجذاباً اكثر منهم. انه يرفض القيود التي تفرضها العادات والتقاليد. لم تترك ذراعه خصرها لحظة واحدة طوال فترة تنقله بين الضيوف. كانت تذكيراً لطيفاً وغير ضروري بأنها زوجته. كانت تذكيراً أزعجها وضايقها، وبخاصة لدى سماعها التعليقات المختلفة على وصوله الفاجئ. وفيما كانت تنظر الى باتريك وشقيقته وهما يقتربان منها، سمعت احدى السيدات تقول لها:

ـ لا شك انك سعيدة للغاية بعودة زوجك بعد هذه الفترة الطويلة.

أرغمت تانيا نفسها على تحويل انظارها عن باتريك الى السيدة الواقفة أمامها، وقالت:

ـ سوف تكون سعادة جون بالتأكيد ضعف ذلك.

ـ جون هو ابنك الصغير، أليس كذلك؟ هل يعلم بعودة والده؟

ـ عندما وصل جايك، كان الصبي نائماً.

حاولت تانيا التملص بهدوء من ذراع جايك، لأنها لم تكن راغبة في ان يشاهد باتريك كيف يطوق جايك خصرها بتلك الطريقة المتغطرسة. الا ان صوت شيئاً العالي سمّرها في مكانها. حيث السيدة التي توجهت الى مجموعة اخرى واستدارت لتفاجأ بالشابة السمراء الجذابة تضمّ جايك وتقول له بإغراء استفزازي:

- لماذا تعجب بالمفاجآت الى هذه الدرجة يا جايك؟ كان بامكانك ابلاغي بانك مشتاق، وكنت بالتأكيد سأحفظ لك هذا السر الصغير.

أجابها بمرح وبحق بشيء من السرور بسبب نظراتها التي تفضح اعجابها واغراءها:

- كنت لم اتخذ بعد قراراً بهذا الصدد. ولم اكن ادرك ما لدي من اسباب كثيرة ومتعددة تحملني على العودة.

قالت ثانيا لنفسها ان جايك وشيلا لم يلتقيا ابداً من قبل. لم تكن شيلا سوى فتاة مراهقة في الخامسة عشرة من عمرها عندما تزوج جايك. كما انه ليس من المحتمل ان يكون التقاها في رحلته الوحيدة الاخرى قبل أربع سنوات. نظرت شيلا الى ثانيا بمرح ظاهر نتيجة الارتباك البادي على محياها، وسألتها ببراءة مصطنعة:

- ألم يقل لك باتريك؟ رافقته في الرحلة التي قام بها منذ شهر وشملت، كما تعرفين، القارة الافريقية. وعندها [illegible] جايك [illegible]

[illegible]

[illegible] سمعته، وقالت:

- كنت اظن انها رحلة عمل.

- نعم كانت رحلة عمل.

- انا اقنعته بأن يصحب معه اخته الصغرى كي تنعم باجازة قصيرة.

ثم نظرت بمحبة نحو شقيقها ومضت الى القول:

- كان باتريك بالطبع منهمكاً في التنقل بين افريقيا واوروبا، فقررت في نهاية الأمر التوقف عن مرافقته في تلك الرحلات المكوكية والبقاء في افريقيا. وكنت سأصاب بسأم قاتل لو لم يتمكن جايك من ترك عمله بضعة ايام.

شعرت ثانيا بضيق وانقباض نتيجة الايحاء الخبيث الذي حملته

كلمات شيلا.

- لا، لم يذكر لي باتريك شيئاً من هذا القبيل.

ابتسمت شيلا لأن هذه الجملة اوحت لها بأن جايك ايضاً لم يبلغ زوجته بالأمر. ارادت التعليق على ذلك، ولكن ثانيا سبقتها الى القول:

- لا شك انك كنت محظوظة جداً لأن جايك تمكن من الابتعاد عن عمله بعض الوقت.

ابتسم جايك بهدوء وهو ينظر الى شيلا، ثم قال:

- أتصور انه كان بامكان شيلا الترفيه عن نفسها، حتى لو لم اكن انا هناك. ولكن، بما ان العمل كان يسمح لي بمنح نفسي اجازة قصيرة، فقد وجدت ان من واجبي الاهتمام بشقيقة مدير الشركة بالوكالة.

سألته شيلا بغنج ودلال:

- وهل هذا ما كنت تفعله؟ الاهتمام بي؟

[illegible]

وظنت انها مشتركة فقط من تلك الايحاءات [illegible]. ابتسمت ثانيا بخبث وقالت للفتاة الاخرى ببرودة:

- اني مسرورة جداً لأنك وجدت مرافقة زوجي لك بضعة ايام امراً مثيراً للاهتمام. من المؤكد انك كنت ستصابين كثيراً لو لم يتمكن احد من مرافقتك الى المعالم البارزة في تلك البلاد الغريبة.

نظرت شيلا باغراء نحو جايك قبل ان تجيب ثانيا بالقول:

- لم نقم بالعديد من الرحلات ذات الطابع السياحي. كنت أريد بالطبع ان أتجول في مركز المشروع الكبير الذي يتولاه جايك. ولكنه شرح لي بأن بعض العاملين هناك لم يروا امرأة منذ اسابيع، وليس من حاجة لاثارة غرائزهم عبثاً لأنهم سيعودون قريباً الى زوجاتهم

وعائلاتهم. انا سعيدة لأن جابك لم يجد من الضروري تطبيق هذه التعليمات والقيود على نفسه. بالتأكيد، لم يقرر جابك العودة الى الوطن الأ بعد مغادرتي افريقيا.

ثم نظرت اليه وسألته بدلال واضح:

- هل كنت حافزاً لك لاتخاذ هذا القرار؟

- لنقل ان وجودك هناك ذكرني ببعض ما سأخسره فيما لو قررت البقاء.

شعرت تانيا بغضب عارم، زاد من حدّته فشلها في التخلص من قبضته المحكمة. واحسّت باقتناع راسخ بأن اهتمامه المزعوم بابنه لم يكن الأمر الوحيد الذي اعاده الى البلاد. فمن الواضح ان وجود شيلا كان عاملاً مؤثراً ساهم الى حد بعيد في اتخاذه قرار العودة.

وسمعت باتريك يسأله بهدوء المعتاد:

- كم ستبقى هنا يا جابك؟

- هل تسألني بصفتك مسؤولاً كبيراً في الشركة، ام كمراقب له اهتمامات معيّنة؟

- قليل من هذا وقليل من ذاك.

تأمل الرجلان بعضهما بطريقة توحي بأن ايّاً منهما قد ينقضّ على الآخر في اي لحظة. ثم نظر جابك الى تانيا ووجّه اليها ابتسامة حلوة لا تقارن ابداً بقساوة عينيه. وقال بهدوء بالغ:

- يتمتع مساعدي داغر بمهارة وخبرة تتوفقان المطلوب لادارة مشروع الطريق. وعليه فلا حاجة للتخوف، يا راينر، من اني تركت هناك اي مشاكل او فوضى.

توقف لحظة ثم مضى الى القول:

- ثمة احتمالات كبيرة بأني سأبقى هنا لفترة طويلة جداً.

شعرت تانيا بانه نطق بكل كلمة في تصريحه الهام هذا بهدوء وعناية فائقتين كي يتأكد من ان الجميع يفهمونه تماماً. حدّقت به وحاولت يائسة اختراق ملامح وجهه الجامدة لتعرف ماذا يجول في

رأسه. الم يقل لامه قبل اقل من ساعة انه لم يحدّد بعد الفترة التي سيمضيها هنا؟ هل أثّر وجود شيلا على قراره؟ يبدو ذلك واضحاً، ولكن... هل هو فعلاً كذلك؟ لم يكن لدى تانيا ادنى شك في ان شيلا عامل مؤثر في اتخاذ هذا القرار... ولكنها ليست العامل الرئيسي والأساسي. وظهر جلياً ان جابك لم يكن ينوي اطلاع احد على السبب الحقيقي لقراره المفاجىء. وقرّرت تانيا ان تتصرّف مرة اخرى كاحدى المضيفتين، فقالت:

- اظن ان بامكاننا جميعاً تناول بعض المأكولات الخفيفة. ما رأيكم؟

اقترب باتريك منها بسرعة قائلاً:

- بكل سرور، وسأساعدك في حمل الصحون.

ابتسمت شيلا، التي بدت عليها السعادة لدى سماعها اعلان جابك، وقالت:

- لنجعلا حصتي اكبر الحصص لانني جائعة كثيراً... وشهيتي منفتحة.

بدأ باتريك يملأ الصحون الاربعة لانه شعر بأن يدي تانيا كانتا ترتجفان غير قادرتين على حمل اي شيء في الوقت الحاضر. امسكت هي بالطاولة كيلا تقع وسألته بصوت منخفض، ولكن بعصبية ظاهرة:

- لماذا لم تخبرني بان شيلا رافقتك في رحلتك؟

- انها شقيقتي، على الرغم من الفرق الشاسع في السن. ارادت مرافقتي، فلم اجد سبباً يحول دون ذلك.

ثم نظر اليها بجدية وكأنه تذكّر امراً هاماً، ومضى الى القول:

- ما تريدين معرفته حقاً هو لماذا لم اخبرك بأنها... بأنها... تعرّفت الى جابك!

بصراحة، كان لدي انطباع بأنك لم تكوني مهتمّة بما يفعله زوجك طالما انه بعيد عنك. اما الآن، فاني اعتقد ان عليّ اعادة النظر في هذا

الرأي.

جاء ردها سريعاً وقوياً، اذ قالت:

- انه لا يعني أي شيء بالنسبة لي! شعرت بأنني غبية جداً وانا واقفة هناك لا أعرف شيئاً بينما يعرف الآخرون كل شيء.

- عندما كنت أقول له الليلة ان يختفي من حياتك، لماذا ذهبت اليه بمجرد ان طلب منك ذلك؟ لماذا تركتني أقف هناك كالمخبول بينما هرعت أنت الى جانبه؟

وضعت تانيا يدها بعصبية على جبينها وقالت:

- كانت صدمة قوية... كابوساً مزعجاً! لم أصدق انه حقاً هناك. لم أتصور ابداً انه سيعود، حتى عندما كتبت له...

قاطعها باتريك بانفعال واضح وبلهجة قاسية:

- أنت طلبت منه ان يعود؟

نظرت اليه بعينين تتوسلان تفهمه وتجاوبه، وقالت:

- كنت مضطرة لذلك. ليس من اجلي انا... ولكن من أجل جون. كانت لديه تلك الفكرة المجنونة بأن جايك ميت او انه في السجن. وأصر على الكتابة اليه طالباً منه العودة.

لم أتمكن من رفض طلبه، نعم... أنت ذكرت لي بنفسك ان جايك منهمك جداً في مشروعين مختلفين. كنت آمل... كنت اعتقد انه لن يتمكن من الحضور.

تنهد باتريك وقال لها بهدوء:

- نعم، أتذكر ذلك. ولكن... عندما اتصورك معه على انفراد في وقت لاحق الليلة، أحس... أحس...

احمرت وجنتاها بسرعة نتيجة لما أوحى به، وسارعت لمحو صورتها بين ذراعي جايك قائلة:

- تقع غرفة نومه في الجانب الآخر من القاعة. نحن لا...

- ألم تنته بعد، يا رابتز، من تجهيز صحون أربعة؟

كان جايك يقف وراءها فاستدارت بسرعة لتواجه بنظرات حادة

وقاسية. ومما زاد في سوء الوضع القائم، ما قالت شيلا بمرح ظاهر:

- أرى انكما تبدوان مقتنيين. عما كنتما تتهامسان؟

تجاهل باتريك كلام اخته عمداً وسأل جايك ببرودة أعصاب حقيقية:

- هل أكثرت لك قطع اللحم؟

- لا، هذا ما كنت اريده بالضبط.

قابلت تانيا نظراته الخبيثة بتحد ظاهر، رافضة الشعور بأي ذنب او خطيئة بسبب حديثها البريء تماماً مع باتريك. وسمعت شيلا تقول لجايك بدلال، وهي ترفع قطعة من الجبنة الى فمها:

- قبل البدء بالأكل، اود ان نرحب جميعنا بعودتك الى الوطن.

- ليكن الموضوع اعم وأشمل. ما رأيك لو تمنينا للجميع أياماً أفضل ومستقبلاً أكثر سعادة وهناء!

كان الأربعة واقفين قرب المائدة، وكان هناك دائماً شخص يتوقف قليلاً للتحدث مع جايك. كانت تانيا تتعمد تجنب النظر الى زوجها، وتتمنى لو انها لم تكتب له تلك الرسالة التي شجعته على المجيء.

اقترب منه رجل وربت على كتفه قائلاً:

- الآن وقد عدت يا جايك، فماذا ستفعل هنا؟

نظر الى تانيا بسرعة وأجاب الرجل مبتسماً:

- أول شيء سأفعله هو قضاء بعض الوقت مع عائلتي، والتعرف بطريقة مناسبة الى ابني.

تدخلت شيلا وتمتمت قائلة:

- من المؤسف انه دخل المدرسة الآن. ستكون لديك ساعات طويلة من الفراغ الممل كل نهار.

نظر جايك الى العينين الجميلتين اللتين تعدانه بأمور كثيرة، وقال:

- سأفكر بأمور عدة تملء الفراغ.

لم ينتبه الرجل الى مغزى الحديث المتبادل بينهما، اذ ضحك وقال:

- أتصور ان للسيدة الجميلة خططاً كثيرة يقتصر تنفيذها عليكما وحدكما. أليس ذلك صحيحاً يا سيدة لاسيتر؟

اختفى اللون من وجنتيها عندما شاهدت ابتسامته المرحة الساخرة. ابتسمت وقالت للرجل ان جايك هو الذي يضع الخطط. لم تهتم لانها بدت كزوجة مطيعة ترضخ لرغبات زوجها. فهو يعلم ان ما عنته حقاً هو ان خططه لا تشملها. ابتسم الضيف وقال معلقاً على جملتها القصيرة:

- كم أتمنى لو ان زوجتي متساهلة معي الى هذه الدرجة!

رد عليه جايك وعيناه تشعان خبثا واستهزاء:

- لم أعتبر تانيا أبدا زوجة متساهلة.

- جايك، هل يمكنك المجيء لوداع جورج هاريس وزوجته؟ انهما ذاهبان.

ابتسم جايك لأمه ورافقها نحو الحديقة بعد اعتذاره بتأدب للمجموعة التي كان يقف معها. وما هي الا لحظات، حتى أمسك باتريك بذراع شقيقته وقال:

- هيا يا شيلا. اظن ان الوقت حان لذهابنا نحن أيضاً.

ثم مال برأسه نحو تانيا وسألها هامسا:

- هل يمكننا ان نلتقي؟

شعرت بأن قلبها غاص في مكانه وان الدماء تجمدت في عروقها. كانت شاردة الذهن لدرجة انها لم تتمكن من الاعتراض او الاحتجاج. هزت برأسها وقالت:

- نعم يا باتريك.

أذن ذهاب الزوجين هاريس وباتريك وشقيقته بقرب انتهاء الحفلة وبدأ الرحيل الجماعي لبقية الضيوف. وفيما كانت تانيا تودعهم مكررة الجمل الوداعية المهذبة، راحت نظراتها تراقب الباب باهتمام بالغ منتظرة عودة جايك قبل مغادرة آخر الضيوف. وعندما ذهب الجميع، ابتسمت وتنهدت بارتياح وسرور،

ظلت تسمع بعض الأصوات في الخارج مما يشير الى ان جاي دي وجولي غارقان في أحاديث متشعبة مع جايك. لم تكن راغبة في مقابلته داخل البيت، فأخذت تجمع الصحون والأقداح وتضعها على طاولة جرارة كي تنقلها من الحديقة الى البيت. تطلعت الى أقصى الحديقة ثم رفعت رأسها الى سماء منتصف الليل تتأمل النجوم والقمر وتنعم بهدوء تلك اللحظات وسكينتها. وفجأة جمدت في مكانها وقالت:

- تصورت انك كنت تودع الضيوف.

لم ينظر اليها جايك، بل جلس على احد المقاعد المريحة وقال:

- تسللت بعيدا فيما كان الجميع يتبادلون أحاديث غير هامة.

شعرت تانيا برغبة قوية لإثارة أعصابه، مستخدمة طريقته وأسلوبه معها:

- لماذا؟ هل كنت تفكر بوسيلة لملاقاة شيلا؟ لن يكون ذلك صعباً جداً: فهي تقضي فصل الصيف على مركب باتريك الذي يستخدمه كبيت عائم. انها نقطة لقاء تناسبك جدا!

نظر اليها بعينيه الفولاذيتين فأحست بنظراته تخترق عينيها ووجهها وقال لها بتأفف وتململ:

- كنت متعباً ليس الا. انت تعرفين انني قطعت عدة مناطق زمنية في رحلتي من افريقيا الى الولايات المتحدة.

كان التعب فعلا باديا على وجهه، ولكنها لم تتمكن من التعاطف معه او الشعور بالشفقة عليه. نظرت لفنجان القهوة الفارغ الذي كان يحمله في يده، وقالت باستهزاء:

- أهذا كل ما تشربه هذه الأيام؟ انك لم تعد كجايك لاسيتر الذي اتذكره.

- هذا صحيح جداً، فالقهوة تبقيني صاحياً ومتنبهاً. اني اتذكر تلك الليلة التي كنت فيها ضائعاً شارد الذهن لدرجة انني لم اتذكر شيئاً مما حدث خلالها. وبعد أقل من سنة، احضرت لي فتاة في التاسعة

عشرة من عمرها طفلاً رضيعاً وضعته أمامي وقالت لي انه ابني.

أحست بأن معدتها تحولت الى نار متأججة تحرق قلبها وكبدها. حاولت ان تبدو هادئة مثله، ولكن يديها كانتا ترتجفان بشكل واضح. شدت أصابعها بقوة، فيما كانت غير قادرة على تجاهل قامته الطويلة وعضلاته المفتولة القوية. لم تجبه، فمضى الى القول:

ـ سألت نفسي مراراً عما يمكن ان تتذكريه انت عن تلك الليلة الغريبة!

ـ العقل أداة عجيبة ورائعة، ينسى الانسان عادة الذكريات المؤلمة والمزعجة.

لم يتأثر بنظرات الاحتقار في عينيها الجميلتين، وسألها بهدوء:

ـ وهل كان كل شيء في تلك الليلة مؤلماً ومزعجاً؟ اني أذكر الجزء الأول منها بوضوح تام. أذكر اني التقيت بشابة جميلة جداً وخجولة جداً في معرض سيناليا واني دعوتها الى الرقص. وأذكر ايضاً كيف احمرت وجنتاها الجميلتان الناعمتان عندما قلت لها ان شعرها يذكرني بلون القطع الذهبية الأثرية. لم تتحدث كثيراً... كنت اطوقها بذراعي وأتظاهر بتحريك القدمين كي يبدو أننا نرقص... مع انني لم اكن افعل شيئاً سوى النظر الى عينيها الجذابتين الرائعتين.

كان صوته كقطعة من المخمل السحري حركت حولها شبكة واعادتها بالذاكرة الى تلك الليلة. لم يكن عليها الا ان تطبق عينيها كي تتذكر حلاوة تلك الأمسية وسحرها. تأوهت بصمت وهي تتذكر نفسها بين ذراعيه... خافت من رد فعلها ومن الرغبة الجامحة التي اشتعلت في داخلها. أغلقت باباً فولاذياً في عقلها لتطرد بقية ذكرياتها عن تلك الليلة، وسألته بمرارة:

ـ لماذا تحاول اقناعي، يا جايلز؟ بأنك كنت فعلاً تحبني؟ بأنني كنت أعني لك شيئاً ما؟ هل كنت حقاً أكثر من مجرد لعبة تلهو بها لليلة واحدة؟

أمسك كتفيها وهزها بقوة قائلاً:

ـ لكنها، اللعنة! أنا...

ـ كنت ستأتي لتراني في عطلة الاسبوع التالية... أو هكذا قلت لي! لم تكن تعني ذلك قط! انا اعرف ذلك، كما تعرفه انت تماماً!

صرخ بوجهها غاضباً:

ـ قتل أخي آنذاك في حادث سيارة. لم أتمكن من الذهاب اليك.

ـ وكانت تلك الحادثة عذراً مناسباً، أليس كذلك؟

هز رأسه بألم بسبب السخرية اللاذعة التي حملها صوتها، وأزال يديه عن كتفيها قائلاً:

ـ لا تتذكر ابداً انني وعدتك بالرجوع ولكني كنت أنوي ذلك... لو لم يقتل جايمي في تلك الحادثة. وكي أكون صادقاً معك، شعرت بعد موته بأنه لم يعد هناك شيء آخر يهمني. كدت أنسى وجودك كلية، الى ان التقينا صدفة بعد ذلك.

ـ هذا ما يمكنني تصديقه.

ـ ولهذا السبب تكرهينني، أليس كذلك؟ جرحت كرامتك لأنني أحببتك ثم نسيتك. لم تغفري لي ذلك حتى عندما تزوجتك. كنت تشعرين أنني مدين لك بهذا الزواج كي أعوضك جزئياً عن تلك الليلة الرائعة الوحيدة.

آلمها جداً فكرة تصويره لها كإنسانة لا قلب لها، فاحتجت بعنف:

ـ ليس هذا صحيحاً على الاطلاق. لم أكن انوي ابداً إبلاغك بما حدث... لو لم يحدث ذلك اللقاء المفاجيء. لم أكن اريد الزواج منك. ولكنك عندما علمت بأمر جون هددتني بانتزاعه مني. السبب الوحيد الذي جعلني على إبلاغك بأمره...

صمتت قليلاً وتوقفت لحظة قبل ان تكمل جملتها قائلة:

ـ أخبرتك بوجوده لأنني أريدك ان تندم وان تشعر ببعض الذنب والخجل اللذين كنت أشعر بهما. لم أكن اريد الا القليل من المال لتسديد النفقات المترتبة علي. ولكن أردت الطفل! نيابة عنك ولأموال لاسيتر، وإرثه لاسيتر، واسم لاسيتر! تعاملني في البداية كخادمة

صغيرة وضيعة ومنسية. لم تنتظر مني ان أغفر لك مجرد ارغامك لي على الزواج للاحتفاظ بجون؟ أنت تطلب المستحيل!

ـ أنت لم تحاولي ابداً. نحن لم نتعامل ابداً مع مسألة زواجنا الا كمجرد غطاء لوجود الطفل. أما الآن فقد حان الوقت لنتصرف بجدية، من أجل أننا ان لم يكن من أجل اي شيء آخر. أنت اعترفت بذلك عندما كتبت لي تلك الرسالة التي اقترحت فيها عودتي الى الوطن... مع أنك تظنين انني لن أفعل ذلك.

بدا قريبا منها، فتراجعت بسرعة الى الوراء. كانت عيناه تشعان ببريق لا تفهمه ولكنه يثير أحاسيسها ومشاعرها. قالت له بعصبية:

ـ لن نتمكن من التوصل الى نتيجة إيجابية يا جايك.

قال لها بنفاد صبر غاضب:

ـ أنا لم أقل ابداً أننا سننجح! قلت ان من واجبنا ان نحاول ذلك. ما من زواج يحقق النجاح، ما لم يقم الزوجان بمحاولة لتحقيقه. انت امرأة جميلة ومثيرة، ولا يمكنني ان اصدق انك تجدينني قبيحاً وكريها بدرجة تامة.

تمنّت تانيا بصمت لو كان بامكانها ان تجده هكذا! كانت تنظر في اتجاهات مختلفة كي تتفادى وجهه الوسيم الجذاب. وظهر الخوف في عينيها عندما نظرت اليه وسألته بهدوء:

ـ ماذا تطلب مني يا جايك؟ أن أحبك؟

صدر عنه صوت ساخر يشبه الضحك قبل ان يقول لها:

ـ أعلم انك ربما كنت تظنين ان الدماء التي تجري في عروقي حارة جدا بسبب الفترة الطويلة التي امضيتها في تلك البلاد الحارة. الجواب هو عكس ما تتصورين. فأنا لا أطلب منك مشاركتي سريري... مع ان ذلك قد يصبح النتيجة الحتمية في نهاية الأمر. ما أريدك ان تفعليه... او بالأحرى ما اقترحه علينا معاً... هو ان نعامل بعضنا كأصدقاء وليس كأعداء. لنحاول التعرف الى بعضنا على حقيقتنا، وليس بناء على ما يتصوره كل منا بالنسبة للآخر.

سميها فترة تجريبية أو هدنة او ما شئت، ولكننا بحاجة لدفن الماضي ونسيانه.

ـ انها نظرية ممتازة وكان بامكاني أخذها بعين الاعتبار، لولا تلك الطريقة المحتقرة التي عاملتني بها الليلة.

ـ تعنين عندما فاجأتك مع رايتز؟

ـ للرجل اسم أول. انه باتريك!

ـ ربما أنا مدين لك بالاعتذار عن الطريقة الفظة التي عاملتك بها. قد نكون زوجين بالاسم فقط، ولكني لا أزال اعتبرك لي. واعتقد ان مشاهدتي إياك بين ذراعيه كانت صفعة مؤلمة لكبريائي وعزة نفسي كرجل. ومن المؤكد ان برودتك الواضحة لم تساعد قط في التخفيف من آلام الصفعة.

لاحظت تانيا بسرعة ان جايك لم يعتذر فعلا، الا انه اعترف بأن عليه ذلك... وكان هذا بحد ذاته كافيا للتخفيف قليلا من حدة غضبها.

ـ حسناً؟ هل تقبلين بفترة تجريبية؟

ـ وماذا بشأن شيلا؟

ـ انها ليست في الصورة على الاطلاق.

ـ حقاً؟ كنت تبدو سعيداً للغاية عندما شاهدتها الليلة. ومن المؤكد انكما تمكنتما من توطيد علاقة وثيقة بينكما عندما كنتما معاً في افريقيا.

ـ بالنسبة لشيلا، ثمة أوقات تمر في حياة الرجل يحتاج خلالها الى امرأة. انا اعلم ان هذا الكلام مثير لاشمئزازك، ولكن هذا كل ما سأقوله لك بصددها. إلا ان اتفاقنا سيقتصر علينا نحن فقط.

ـ هل تقول انك لن تلتقي شيلا؟

ـ وهل تقولين انك لن تلتقي باتريك؟

ـ قلت لك انني لم أكن أكذب!

ـ بعد هذه الليلة، لا أظن انه سيكتفي بالنظر اليك من بعيد. لقد

تذوق طعم العسل، وسوف يريد المزيد منه. ولكن ما لنا ولهذا الموضوع. ما يعنيني هو انك لم تجيبي بعد اذا كنت موافقة على اقتراح الهدنة.

- وماذا سيحدث في نهاية الفترة التجريبية اذا كنت لا تزال تحترق؟

- اذا شعرنا بعد شهرين او ثلاثة ان زواجنا لن ينجح بأي طريقة او اخرى، فعندها نبحث عن حلول بديلة.

- الطلاق مثلاً؟

- إنه الحل الواضح.

- وان لم أوافق على ما تسميه هدنة، فماذا سيحدث؟

- سيحدث ان تستمر الأمور تماماً كما هي عليه الآن.

ظهر الغضب جلياً في عينيها، وتذكرت فجأة ان اعترافه قبل لحظات بإقامة علاقة مع شيلا اثناء وجودها في افريقيا لم يزعجه على الاطلاق. سألته بانزعاج واضح:

- انت لا تترك لي خياراً آخر، أليس كذلك؟

أجابها بنعومة قائلاً:

- هذا يعتمد على الطريقة التي تنظرين بها الى الموضوع. ادرسي هذه المسألة بتمعن واعطيني جوابك خلال يومين او ثلاثة.

وتركها واقفة بذهول ودهشة، دون ان يودعها أو يضيف كلمة اخرى الى جملته.

٤ - انتصار قبل المعركة

تنهدت تانيا بانقباض دون ان تدري السبب. وبدا لها ان انزعاجاً غريباً يلقي بظلاله على جمال الصباح وروعته. ولم تتذكر السبب الا عندما فتحت عينيها واستفاقت بصورة تامة. لقد عاد جايك الى البيت...

تأوهت قليلاً ودفنت رأسها في وسادتها. عاد الى البيت ويعتزم البقاء. لن تتمكن بعد الآن من تجاهل وجود زوجها. واسوأ ما في الأمر انها غير قادرة على كرهه. ثمة خوف، كيف تصفه او تسميه، ناجم عن العواطف التي يمكن ان تحملها عودته ومن الفكرة المرعبة من انه سوف يكتشف قريباً السر الذي حافظت عليه حتى الآن بعناية فائقة.

فتح الباب فجأة وشاهدت ابنها يدخل منه بسرعة ويقول لها بلهفة:

- صحيح؟ هل ابي هنا حقاً؟ قالت لي جدتي انه عاد. فأين هو؟ اين هو الآن؟

منعته حماسته ولهفته الشديدتان من ملاحظة انقباض والدته، ومن انها ارغمت نفسها على الابتسام عندما قالت له:

- نعم، انه هنا. وهو نائم في الغرفة الأخرى.

- سأذهب لرؤيته!

أرادت ان تمسك به فلم تتمكن. قامت من سريرها بسرعة صارخة:

- جون، انتظر!

ما ان وصلت الى باب غرفتها، حتى كان جون يفتح باب الغرفة الواقعة في نهاية الممر. ولما وصلت اليه، كان يقف داخل الغرفة بذهول وهو لا يزال ممسكاً بقبضة الباب. وضعت يديها على كتفيه لتسحبه بهدوء الى خارج الغرفة، وهي تهمس بحزم وقوة:

- لا توقظه الآن يا جون.

ثم انتبهت الى سبب ذهوله وجموده. كان جايك واقفاً مكشوف الصدر امام باب الحمام الداخلي، يتأمل الصبي بذهول مماثل. ثم غمز الصبي باسماً وقال له:

- اسعدت صباحاً يا جون. انت جون، اليس كذلك؟

هز الصبي رأسه وهو لا يزال محدقاً بالرجل الذي يهيمن وجوده على كل شيء آخر. سأله جون بصوت يوحي بخوفه من احتمال سماع رد سلبي:

- هل انت ابي؟

اجابه جايك بكلمة وحيدة وبسيطة، ولكنه لم يتحرك نحو الصبي. واكتشفت تانيا انها تحبس انفاسها. تنفست بهدوء ثم ورفعت يديها ببطء عن كتفي جون. كانت الغرفة هادئة وساكنة

لدرجة انه كان بالامكان سماع صوت ريشة عصفور وهي تلامس السجادة. واخيراً، ترك جون الباب وتقدم ببطء نحو والده. توقف امامه ثم رفع رأسه نحو وجه ابيه وسأله بجدية:

- هل سأصبح طويل القامة مثلك عندما اكبر؟

علت وجه جايك ابتسامة حولت ملامحه القاسية الى نعومة وحنان لا يصدقان. ركع امام الصبي واجابه بجدية مماثلة:

- ربما ستصبح اطول مني.

خيم الصمت مرة اخرى، الا ان التوتر الذي كان سائداً قبل قليل زال واختفى. احست تانيا وهي تراقبهما معاً بانهما نسيا تماماً وجودها في الغرفة. كانا قريبين جداً الى بعضهما، ومع ذلك لم يتحدثا او يتعانقا. كان احدهما واقفاً يتفحص بدقة وجه الرجل الغريب الذي هو والده، فيما كان الآخر راكعاً تبدو على محياه ملامح الثقة والتفهم. وبعد لحظات صمت طويلة، سأله جايك:

- الم تتناول فطورك بعد؟

اجابه الصبي بكلمة نفي واحدة، فمضى الوالد الى القول:

- وانا ايضاً لم اتناول فطوري بعد. اذهب الى جدتك الآن واطلب منها ان تضع صحناً آخر على الطاولة. سوف نتناول الفطور معاً.

هز الصبي رأسه موافقاً واستدار نحو الباب كي يذهب الى جدته. ولكنه توقف فجأة، ثم التفت الى الرجل الذي لم يزل على ركبتيه وقال له بلهجة جادة وحازمة:

- انا سعيد بعودتك الى البيت يا ابي.

وخرج جون من الغرفة راكضاً. وقف جايك وكانت عيناه تشعان بالسكينة والهدوء كسماء الصيف الصافية. وما ان نظر نحو تانيا حتى قالت:

- انا آسفة.

- لماذا؟

- لأن استقبال جون لك لم يكن مناسباً تماماً. انا...

اتصور. . . انه لا يعرفك جيداً.

ـ وهل كنت تتوقعين منه ان يرمي نفسه علي؟ كنت سأشعر بخيبة امل لو فعل ذلك. انا غريب بالنسبة له، ولا اريده ان يمنحني ثقته وحبه لمجرد ملاقاته بابي والده. اريد ان احصل على حبه بجدارة، وعندها فقط اشعر بأنها هدية ثمينة للغاية.

تنهدت تانيا ووضعت يدها على جبينها ثم قالت:

ـ اعتقد انك على حق في ذلك.

لم تتمكن من طرد ذلك الشعور الباطني بانها هي المسؤولة الأولى عن قيام هذا الشرخ الكبير في العلاقة بين الابن وابيه. لم تنتبه الى اقترابه منها الا عندما سمعته يقول:

ـ امنحيه وقتاً كافياً يا تانيا كي يتمكن من معرفتي بصورة تامة.

تسارعت دقات قلبها عندما شعرت بقربه منها، فارتبكت ولم تعرف ماذا تفعل او تقول. وسمعته يسألها بهدوء:

ـ هل فكرت قليلاً بحديثنا امس؟ اتصور ان افضل شيء بالنسبة لجون قيام هدنة ودية بيننا.

لم يتمكن جزء من عقلها من التركيز على ما قاله، لأن قسماً كبيراً من احاسيسها كان مشدوداً كلية الى جاذبيته الساحرة ورجولته الملتهبة. ردت عليه همساً:

ـ لا يمكننا ابداً ان نصبح صديقين يا جايك.

ـ انا لم اقل قط ان بامكاننا ان نصبح صديقين. في الحقيقة انني اول من يعترف باستحالة ذلك من الناحية العملية. كل ما اريده هو ازالة هذا الجو العدائي اللعين القائم بيننا، والذي اوجدناه نحن بأيدينا.

تجنبت النظر الى الرجل الواقف قربها، لأن حضوره كان يثير فيها ثورة جامحة تضعف مقاومتها لاغرائه القاسي. هزت رأسها وقالت بتلعثم:

ـ لا. . . لا ادري. اي حقاً. . . لا ادري.

تراكمت هبوب عاصفة هوجاء نتيجة ردها المتردد، ولم تكن مستعدة للنعومة المفاجئة في صوته والتي داعبتها برقة مثيرة. قال لها وهو يمسك بكتفيها:

ـ هل اطلب منك الكثير عندما اقترح عليك تعايشاً سلمياً؟

لم تتمكن ثيابها الشفافة من صد النار المتأججة التي اشعلتها لمساته، ولم تتمكن احاسيسها من مكافحة تلك الرغبة الجامحة في الالتصاق به وبجسمه القوي المتوحش. اغمضت عينيها بقوة ورفعت يديها لتحمي نفسها من اي مضاعفات اخرى، ثم شهقت وقالت له بصوت يرتجف بعنف نتيجة لتجاذب عواطفها الحالية:

ـ لا تلمسني! لا يمكنني تحمل لمساتك!

فتحت عينيها لتشاهد ذراعيه الى جانبيه ونظرات الغضب تجمد ملامح الألم في وجهه. كان يتفحصها من رأسها حتى اخمص قدميها، وينظر اليها باشمئزاز. . . وباحتقار للذات. وقال لها بعصبية:

ـ تبا لي، كيف تزوجت قطعة اثاث صغيرة وجامدة مثلك؟ انت في الظاهر امرأة جميلة تضج رغبة وعاطفة، بينما لست في الحقيقة سوى قطعة كبيرة من الثلج!

ـ لا! هذا ليس صحيحاً!

احست بانه طعن كرامتها في الصميم، ولم تتمكن الا من نفي اتهامه القاسي بقوة وبدون تردد. انها تعلم تماماً ان مشكلتها الأساسية تكمن في سرعة تأثرها بالرجل الذي يهتم بها ويرعاها. نظرت الى وجهه فرأت فيه مزيجاً من البرودة والاغراء افزعاها بقدر ما جذباها. قال لها بصوت ناعم حمل لها دعوة واضحة للاقتراب منه واثبات ما تدعيه:

ـ يجب عليك ان تقنعيني بالبرهان القاطع. اقرني الأقوال بالأفعال.

اقتربت منه بذهول فيما كانت تشدها اليه قوة سحرية لا تقاوم. اسرتها نظراته الحالمة وراحت تحملها اليه، مع ان جميع افكارها

الأخرى كانت تصرخ بها طالبة منها الابتعاد عنه. شعرت بأنفاسه الدافئة تداعب وجنتيها، وتسمرت نظراتها على شفتيه. تمنت لو انها تطبقان على جرحها، ويفجران في نفسها تلك الرغبات التي دأبت على تعزيتها منذ زمن طويل. وانتبهت تانيا الى حالتها في اللحظة الأخيرة. لن تدع جايك يكتشف ضعفها الخطر امام مداعبة الرجال ومغازلتهم.

شعر بأنها على وشك التراجع، فطوقها بين ذراعيه وقال لها بحنان:

ـ لا تهربي الآن، يا حبيبتي.

سمعا صوت اقدام تعدو في الممر، قبل ان يتوقف جون فجأة امام الباب المفتوح على مصراعيه ويحدق مستغرباً بالشخصين المتعانقين. اطبق عينيه ثم فتحهما قبل ان يقول متلعثماً:

ـ قالت . . . جدتي. . . ان . . . ان الفطور. . . جاهز.

ابتسم جايك وهو ينظر الى رأس تانيا المنحني وذراعيها المتشنجين اللذين كانا يحاولان عبثاً ابعاده عنها، وهمس في اذنها قائلاً:

ـ لا تقلقي، فحضور ابنك انقذك من هذه الورطة.

ثم ابعد يديه عنها وقال لابنه:

ـ سآتي خلال لحظات.

تردد الصبي بتململ، لأنه لم يعرف ما اذا كان عليه الذهاب فوراً او انتظارهما. وكانت تانيا جامدة في مكانها، فيما كان جبينها ينضح خجلاً ومذلة. اما جايك فكان يرتدي قميصه بهدوء لا يضاهى. وقبل ان يغادر الغرفة مع الصبي، اقترب منها وقال متمتماً بعد ان رفع وجهها نحوه:

ـ كانت تلك محاولة اولى يا تانيا. ربما في المرة المقبلة. . .

ـ لن تكون هناك مرة مقبلة.

اكتفى برفع حاجبيه بطريقة ساخرة بعض الشيء، توحي بأنه لا يصدق كلامها. ثم تركها واستدار نحو الصبي قائلاً:

ـ هل انت مستعد يا جون؟

ـ هل ستأتين معنا يا امي؟

اجابته نفياً، ثم سارعت الى خنق دموع الخجل واضافت بهدوء:

ـ اريد اولاً ارتداء ثيابي. اذهب، يا حبيبي، مع والدك.

شاهدها الصبي تمسح دمعة من على خدها، فأمسك بذراعها وسألها:

ـ هل انت بخير، يا امي؟

ـ نعم، انا بخير.

الا ان ابتسامتها الواهنة لم تساعد كثيراً، فنظر بحدة نحو والده الذي يراقبهما بصمت قرب الباب وعاد يسأل امه:

ـ ولكن . . . لماذا تبكين؟

علمت تانيا ان كلمة واحدة منها تكفي لتجعل الصبي ينقلب على ابيه. يمكنها بكلمة قاسية واحدة ان تقطع الخيط الضعيف الذي يربط بينهما. ارادت ان تنتقم من جايك. كم من السهل الآن ان ترد له الصاع صاعين على كل خطيئة تعتقد انه ارتكبها بحقها! نظرت اليه فشاهدت قساوة عينيه اللتين تعرفان بالتأكيد مدى سيطرتها ونفوذها على ابنه. تنهدت وقالت للصبي:

ـ اني ابكي. . . اني ابكي لأنني سعيدة يا جون. لأن والدك عاد اخيراً الى البيت.

افتر ثغره عن ابتسامة عريضة لأنه لم يتمكن من مشاهدة القلق والحزن في عينيها.

وقال لها:

ـ وانا كذلك، يا امي، وانا كذلك.

ـ سوف يبرد فطورك يا حبيبي. هيا اسرع قبل ان تبعث جدتك فريقاً للبحث عنك.

ركض الصبي وهو يلوح لوالدته بيده قائلاً:

ـ هيا يا ابي.

الا ان جايك كان ينظر الى تانيا ويتأملها فاحصاً. فصرعها الحكيم العاقل اركعها امامه، ولكنه لم يرغم رأسها الشامخ بعزة وعنفوان على الانحناء والخضوع. ظل واقفاً لحظات طويلة قبل ان يدير ظهره ويلحق بالصبي. وتساءلت تانيا عما اذا كان يدرك انها اعطته الطريق للنصر، حتى قبل ان تبدأ المعركة. ولكنها قررت الا تمنحه جميع غنائم الحرب، مهما كلفها ذلك من تضحيات وآلام...

مرت الأيام التي تلت عودة جايك بشكل روتيني صرف. ففي النهار، كان جون يذهب الى المدرسة بينما يرافق جايك والده الى مقر الشركة او يبقى في المنزل المبني على شاطىء البحيرة. الا انه كان يخصص ساعات ما بعد الظهر وحتى وقت مبكر من المساء لجون. كانا يذهبان احياناً لصيد الأسماك او اللعب بالكرة. وعندما يرغمهما مطر الربيع على البقاء داخل البيت، كانا يشاهدان بعض البرامج التلفزيونية او يتسليان بعدد من الألعاب التربوية المسلية.

[illegible] التي كانت [illegible] [illegible] موضوعات لا تعنيها او تثير اعصابها. ولكنها كانت تشعر بانه يتحين الفرص المناسبة له لعرض اتفاقية من نوع ما تضطر للقبول بها.

ورفضت التفكير بالمضاعفات التي يحتمل حدوثها لو انها وافقت على قيام فترة تجريبية يتعرف خلالها كل منهما بصورة حقيقية على الآخر. لم تكن راغبة في قضاء اي وقت معه على انفراد، اكثر مما هو ضروري... للمحافظة على تلك المظاهر الخارجية امام ابنها ووالديه.

ذهب جايك والصبي اليوم في رحلة بحرية تستغرق ساعات عدة. وتمكنت تانيا من الاعتذار عن مرافقتهما لأنها على ارتباط سابق للمساعدة في مبيع يعود ريعه الى احدى المؤسسات الخيرية. وكانت كل سيدة تبرعت بثلاث ساعات من وقتها.

وصلت السيدة الأخرى التي ستحل محلها، فتطلعت تانيا حولها بحثاً عن والدة زوجها التي ستحضر لإعادتها الى المنزل. ولكنها شاهدت عوضاً عن ذلك رجلاً طويلاً اسود الشعر يقترب منها بسرعة. احست بشيء من الندم والذنب لأنها لم تفكر ابداً بهذا الرجل منذ عودة جايك. وفيما كانت تتأمل ذلك الوجه القوي الوسيم لباتريك رايتر، شعرت تانيا بذلك الاحساس الدافىء المألوف الذي كان يغلفها كلما كانت تراه في السابق. ابتسمت له بصورة عفوية وطبيعية قائلة:

- باتريك، ماذا تفعل هنا؟

- كنت على وشك الانتهاء من اجتماع مع جاي دي عندما رأيت جوليا تستعد لمغادرة المنزل، فتطوعت للحضور عوضاً عنها. هل انت جاهزة؟

ودعت رفيقتها ومشت مع باتريك نحو السيارة. ابتسم لها بحرارة [illegible] فتح الباب، ثم استدار حول السيارة ليجلس الى مقعد السائق. [illegible]

- [illegible]

[illegible] الذي يطل من النافذة، قالت له بصدق:

- اشعر وكأن اكثر من اسبوع مر على اخر لقاء بيننا.

ضحك بألم وقال:

- لم اكن متأكداً من ان حضوري سيلقى ترحيباً. انا اعلم ان جايك لن يسرّ لمشاهدتي. ولكني كنت افكر دائماً بما اذا كانت عودته غيرت افكارك ايضاً.

شعرت تانيا بالانقباض والضيق، وبأنها غير راغبة في تقسيم الثمرة المحرمة. ولكنها تمكنت من الرد عليه بلهجة عادية، تجاهلت فيها المعنى الأعمق لملاحظته. قالت بهدوء:

- انت تعرف، انه فيما يتعلق بي، فانك موضع ترحيب دائم.

ـ لماذا عاد؟ بدأت بالفعل تبتعدين عني. كما اني احس ببرودة في صوتك، تذكرني بتلك المرات الكثيرة التي صديت فيها اشخاصا توددوا اليك اكثر من اللزوم. كنت اعتقد انك تشعرين بشيء ما تجاهي.

احست بعقدة ذنب مؤلمة لأنها جعلته يعتقد ذلك. ولكنها في الحقيقة شعرت بالانجذاب اليه، مع انها كانت خائفة جداً من المضاعفات. صححت معلوماته بسرعة قائلة:

ـ نعم . . . اعني . . . اعني ان بامكاني ذلك.

كانت الكلمات تتلاحق بشكل يدعو الى القلق. ولكنها تنهدت بهدوء، واضافت باصرار واضح:

ـ يجب ان افكر باكثر من نفسي، يا باتريك.

ـ تعنين جودا ولكن . . . لا يمكنك القول بأمانة ان جايك كان والداً حقيقياً للصبي.

ـ اني مخطئة في هذا المجال بقدر ما هو جايك ايضاً.

تنهد باتريك وقال:

ـ يصعب علي تصديق ذلك. هل تؤمنين بالحب من اول نظرة؟

ـ لا!

ادهشها عنف ردها وسرعته، الى ان تذكرت كيف انها احبت بسحر جايك قبل سنوات عديدة . . . وقبل ان يحطم اوهامها عن الحياة والحب. وكررت موقفها بهدوء وثبات قائلة:

ـ لا، لا اؤمن به.

ـ انا اؤمن به، الى حد. كنت لا ازال متزوجاً عندما شاهدتك تلك المرات القليلة في بداية الامر. وجدتك حتى عندئذ امرأة جميلة وجذابة. ازداد فضولي لمعرفة السبب الذي يدفعك انت وعائلة لاسيتر لاظهار زواجك وجايك على انه في قمة النجاح، مع انه لم يأت ابداً الى البيت ولم تذهبي انت قط لزيارته. بدأت اشعر بالحسد من انه ربما كان لك صديق او حبيب. ولم اتمكن من معرفة السبب

حتى اكتشفت بأنني اتمنى ان اكون ذلك الرجل. وعندها فقط بدأت اشاهد نظرات الوحدة المزعجة في عينيك. انت تشعرين بالوحدة أليس كذلك؟ هذا الاكتفاء وهذه السيطرة ما هما الا غطاء لاخفاء الوحدة الموحشة! صحيح؟

هزت رأسها بعنفوان لتثبت له ان الموضوع لا يهمها كثيراً، وقالت:

ـ اظن ان كل انسان يشعر بالوحدة بين الحين والآخر.

ـ ليست لديك اي عائلة، أليس كذلك؟ اريد ان اعرف كل شيء عنك. هل كنت طفلة يتيمة؟

ردت عليه بهدوء بالغ:

ـ قتل ابي وامي في حادث عندما كنت في التاسعة عشرة من عمري. وكنت آنذاك اعيش بمفردي واعيل نفسي.

ـ أليس لديك اخوة او اخوات؟

نظرت ثانية بعيداً وقالت بصوت تخللته مسحة من الحزن:

ـ كانت لدي اخت صغرى. توفيت من جراء نزلة صدرية بعد اشهر قليلة من فقدنا والدينا.

ـ ولكنك كنت في حوالي التاسعة عشرة عندما تزوجت جايك؟ لا بد انها كانت فترة عصيبة جداً بالنسبة لك. ويمكنني ان اتصور كيف كنت على استعداد للبكاء على اول كتف تعرض عليك. لم يكن صعباً ابداً استغلالك آنذاك. ماذا حدث، يا حبيبتي؟ هل احببت ولم تلاحظي انك ارتكبت خطأ فادحاً الا بعد فوات الاوان؟

كانت لهجته الحنونة الصادقة تدفعها الى افشاء قصتها بكافة تفاصيلها الا انها تمكنت من السيطرة على مشاعرها وقالت له:

ـ صحيح، هذا ما حدث لي على وجه التقريب.

ـ من الخطأ احياناً ان يحاول الانسان المحافظة على ديمومة الزواج من اجل طفل، وهذا بالضبط ما تحاولين القيام به. هل طالبت جايك مرة بالطلاق؟

ـ بحثنا هذا الاحتمال.

ـ انا . . .

احست ببداية صداع قوي، فقاطعته قائلة:

ـ ارجوك، لنتحدث في موضوع آخر.

تنهد باتريك وهو ينظر اليها بحنان، وقال لها بعناد:

ـ سأفعل ذلك بكل سرور، شرط ان تخبريني عن وضعي بالنسبة اليك.

تحول باتريك في تلك اللحظة عن الطريق الرئيسي الى آخر فرعي يؤدي الى منزل لاسيتر. ولكنه اوقف السيارة الى جانب الطريق، في مكان يشرف على بحيرة تايل روك، وقال لها:

ـ انا بانتظار ردك، يا تانيا.

ـ لا اعرف. لم اجد بعد الوقت الكافي للتفكير.

ـ انا رجل يا تانيا. لا يمكنني بعد ملامستك وتقبيلك ان اكتفي بمجرد النظر اليك من بعيد.

كان قريباً منها، وكانت يده الموضوعة على كتفها تديرها ببطء نحوه. جاءت كلماته مطابقة تماماً لما حذرها منه جايك، والتي وجدتها آنذاك سخيفة ومثيرة للضحك. ولكنها عندما نظرت الى عيني باتريك لم تجد فيهما ما يضحكها اطلاقاً. تركته يشدها الى صدره، آملة في ايجاد بعض السلوى والعزاء لمشاعرها المتناقضة المعذبة. ولكنه بدا لها ان افكارها المبعثرة والمعقدة ازدادت تبعثراً وتعقيداً. احست بلطف انفاسه على رأسها وشعرها وعينيها، الا انه لم يكن هناك اي وجه مقارنة مع مداعبة جايك ومغازلته الطاغيتين المثيرتين. وسمعته يتمتم قرب فمها . . .

ـ انا لست من ذلك الصنف الذي يتوسل . . . ولكنني اريدك، يا تانيا.

تلوت محتجة بكلمة نفي واحدة، فيما كانت ذراعاه تطوقانها بقوة. ارادت الابتعاد عنه، ولكنها لم تتمكن. جفّت جميع مشاعرها

وجمدت في مكانها، لأنها احست بانها حفزته على مداعبتها ثم تبين لها انها لا تريد ذلك فعلاً. ولكن عدم تجاوبها معه لم يثبط عزيمته او يثنه عن المتابعة. تركها وعاد الى مكانه في السيارة، ثم نظر اليها بعينين تشعان ببريق الرغبة والحب، وقال لها بصوت متهدج:

ـ ها قد عرفت الآن كيف اشعر نحوك. انا مثلك لا اريد علاقة سرية وفقاً للظروف الحالية. افهم شعورك بالنسبة لابنك، واحترمك لذلك. تريدين له بيتاً، وتعليماً جيداً، ومستقبلاً. بامكان عائلة لاسيتر منحه جميع هذه الامور، بالاضافة الى الاسم المشهور والثروة. ولكن . . . كلمة واحدة منك وسوف امنحه كافة هذه الاشياء واكثر. انه يحبني، واعتقد انه سيقبلني كوالد له. انه بالتأكيد يعرفني اكثر مما يعرف جايك.

حدقت به تانيا بذهول مدهش وهي لا تصدق انه فعلاً يتقدم بطلب الزواج منها.

تنفست بصعوبة وسألته:

ـ هل تطلب مني ان اترك جايك واتزوجك؟

ابتسم لها بحنان ورقة. واضاف الحب المشع من عينيه الى ملامح وجهه جمالاً ووسامة عندما قال:

ـ هذا بالضبط ما اطلبه منك. واشعر برغبة قوية للركوع امامك وتكرار الطلب.

تفادت النظر الى عينيه خوفاً من الرضوخ لسحره الطاغي، واحتجت بنبرة ضعيفة:

ـ ولكني لست متأكدة من انني احبك.

ـ انا آخر انسان يطلب منك استبدال زوج لا تحبينه بزوج آخر لا تحبينه ايضاً. ولكنك لا تعلمين مدى رغبتي في الفوز بحبك. اريد ان اراك مرة اخرى، على انفراد، مثل الآن. اريد ان نتمكن من الحديث معاً دونما اي خوف او وجل من ان يسمعنا الآخرون، حتى ولو كان ذلك لنصف ساعة . . . او ساعة . . . او اي مدة يمكنك

ترتيبها. قولي انك ستفعلين ذلك يا حبيبتي.

ـ لا ادري متى . . .

اوقفها صوت سيارة اخرى عن اعطاء موافقتها المترددة. وشاهدت العبوس المفاجيء على وجه باتريك قبل ان تدير رأسها نحو السيارة القريبة. احست بانقباض شديد والم حاد عندما رأت شيلا جالسة قرب جايك، وعندما شاهداها هما مع باتريك. قال جايك شيئاً لشيلا ازعجها وضايقها، قبل ان يترجل من السيارة وعلى وجهه نظرات قاسية لم تخفف اطلاقاً من خشية تانيا وخوفها. احست بيد باتريك تمسك بيدها وسمعته يقول لها بصوت هادىء مطمئناً:

ـ لست مضطرة لتوضيح اي شيء، فنحن لم نرتكب اي خطأ.

نظرت اليه بامتنان، فيما كان جايك يفتح بابها وينظر اليهما قائلاً بسخرية:

ـ تستمتعان بالمناظر الطبيعية؟ انها منطقة رائعة في هذا الوقت من السنة.

نظر اليه باتريك بتحد وقال له بهدوء مماثل:

ـ انه فعلاً منظر رائع.

ـ تعبت شيلا من انتظار عودتك، فتطوعت باخذها الى البيت. انها الصدفة جميلة ان نلتقي هنا، لأن من شأن ذلك توفير بعض الوقت لكل منا.

ثم نظر بعينين قاسيتين الى تانيا وقال لها:

ـ يمكنك العودة معي الى البيت.

قالت لها ملامح باتريك بوضوح انها غير مضطرة للذهاب مع جايك ان لم تكن راغبة في ذلك. ولكنها ابتسمت له لابلاغه ضمناً بانها ستذهب مع جايك باختيارها، وقالت له:

ـ شكراً لأنك حضرت لايصالي الى المنزل.

وقبل ان تسنح لها اي فرصة لاعادة النظر بقرارها، كانت يد جايك تقبض على ذراعها وتسحبها من سيارة باتريك لتدفعها الى

سيارته. نزلت شيلا باستياء صامت من سيارة جايك، وقالت له متصنعة بغنج ودلال:

ـ كنت اتطلع قدماً وبشوق بالغ الى ايصالك لي الى البيت، ولكني اعرف انك متشوق جداً للعودة الى ابنك الصغير. اني مسرورة جداً لأنك دعوتني اليوم. امضيت معك وقتاً رائعاً. هل من الممكن تكرار ذلك مستقبلاً؟

وجهت سؤالها الى جايك مصحوباً بابتسامة ساحرة، رد عليها بوعد جزئي قائلاً:

ـ ربما.

احست تانيا بغضب عارم عندما شاهدت شيلا تعانق جايك، قبل ان تقفز فرحة الى سيارة شقيقها. مشى جايك بتمهل نحو بابه، فيما اختفت سيارة باتريك عن الانظار. تطلعت نحوه وسألته بحدة، قبل ان يدير محرك السيارة:

ـ هل ذهبت شيلا معكما اليوم؟

اجابها ببرودة مزعجة وعلى وجهه ابتسامة جارحة:

ـ نعم ذهبت معنا، مع ان مرافقتها لنا لم تكن مخططة سلفاً.

ردت عليه بسخرية لاذعة:

ـ من المؤكد ان جون المسكين عكر اليوم صفوك ومزاجك. انه لأمر مؤسف حقاً ان تكون وعدته باخذه معك.

ـ شيلا هي التي لم تكن جزءاً من الخطة. التقيناها صدفة اثناء توقفنا لتناول الطعام. كان الوقت الذي امضيناه معاً بريئاً مثل الدقائق القليلة التي امضيتها مع رايتر.

ابعدت وجهها عن نظراته الثاقبة، وهي تعلم ان الاحمرار في وجنتيها فضح شعورها بالذنب. وسمعته يضيف بنبرة غلبت عليها برودة قاسية:

ـ لم يكن جون معك كحارس امين، وبالتالي فمن المحتمل ان وجودكما معاً حتى لفترة قصيرة لم يكن بريئاً جداً كما تصور.

ـ كانت الأهداف التي حفزتنا على الاجتماع اسمى من اهداف اجتماعك انت بشيلا.

ـ أسمى؟ اوضحي ما تقولين وتعنين.

ـ طلب مني باتريك ان اتزوجه.

ظهر الغضب فجأة في وجه جايك المتغطرس، ولكنه سرعان ما اختفى وهو يقول لها دون اكتراث:

ـ يجب ان ارفع قبعتي اعجاباً بالرجل. لم اكن اظن ابداً انه سيتصرف بمثل هذه السرعة. وماذا كان جوابك على طلبه؟

ـ هذا شأني.

ـ وشأني انا ايضاً يا سيدة لاسيتر. ان لم يكن شأني كزوجك، فمن المؤكد انه شأني كوالد طفلنا.

ـ اذا كان لا بد لك من ان تعرف، فانا لم اعطه جواباً!

ـ لماذا؟

ـ لانه لم تكن لدي فرصة لذلك. فقد جاء وصولك غير المتوقع في وقت غير مناسب اطلاقاً.

تجاهل جايك عمداً سخريتها واصر على معرفة الحقيقة:

ـ لو سنحت لك فرصة الرد على طلبه، فبماذا كنت ستجيبين؟

لم تتمكن من الكذب عليه، مع انها كانت راغبة في ذلك. وقالت بتحد:

ـ لا اعرف. اريد بعض الوقت للتفكير.

ـ يبدو لي بوضوح انك لست متعلقة بالرجل، والا لما كنت بحاجة لأي وقت او تفكير. لا يمكنك نفي معرفتك به، فأنت تعرفينه بقدر ما تعرفينني.

ـ ولكنني لا اعرفك حقيقة، يا جايك.

نظر اليها بعينين علت بريقاً مختلفاً وسألها بنعومة:

ـ وهل تريدين ان تعرفيني؟

جمدت في مكانها، خائفة من ان تقول له شيئاً اخر ستندم عليه

بقدر ندمها على اعترافها السابق. استعادت ببطء سيطرتها على اعصابها المتوترة وقالت له باصرار:

ـ لا، لا اريد ذلك. ما اعرفه عنك حتى الآن لا يعجبني على الاطلاق، فلا حاجة لبذل جهود كبيرة بسبب قضية فاشلة لا فائدة منها.

ـ هل تقولين ان زواجنا قضية فاشلة؟

ردت عليه بعصبية واضحة:

ـ وكيف تصفه انت عندما لا نتمكن حتى من وجودنا معاً في غرفة واحدة دون ان يسيطر علينا جو متوتر خانق؟

ـ هل هكذا تشعرين انت؟

لم يبد متضايقاً البتة عندما سمعها تصف زواجهما بمثل تلك الكلمات القاسية. وعندما هزت رأسها مؤكدة ردها ايجاباً على سؤاله، اكتفى بتحريك يده وقلب شفتيه قائلاً ببطء:

ـ ربما انت على حق!

٥ ـ السّمرة الوديعة

خرجت تانيا الى الحديقة لتنعم بتلك الليلة المقمرة الدافئة، بعد ان اخبرت ابنها قصة قصيرة ساعدته على النوم بسرعة وسرور. لم تكن راغبة في التوجه الى غرفة الجلوس حيث افراد العائلة الآخرون يتحادثون ويتسامرون. فضلت السير بمفردها على شاطىء البحيرة، وكانت مصممة على الا تدع أياً من مشاكلها تفسد عليها جمال تلك الليلة وروعتها.

وقفت قرب المكان الذي يرسو فيه مركب العائلة، وراحت تتأمل باعجاب انعكاس ضوء القمر على صفحة الماء. كان الجو دافئاً هادئاً ومشبعاً بالرطوبة. شعرت بالحر وبالتصاق ثيابها بجسمها، وكانت مياه البحيرة تبدو باردة منعشة. لم تكن هناك بيوت اخرى قريبة، أو

مراكب تقطع البحيرة من هذا الجانب الى ذاك. كانت تانيا وحدها تماماً. خلعت ثيابها وقفزت الى الماء...

شعرت برعشة خفيفة في بداية الأمر، الا انها سرعان ما بدأت تحس بمتعة السباحة في مياه البحيرة النظيفة... وفي ضوء القمر، سبحت بعيداً بنشوة وفرح، ولكن برودة الماء بدأت تزعجها قليلاً فعادت أدراجها. نبهتها حاستها السادسة، او ربما تحركات معينة، الى انها لم تعد وحدها. ظلت في الماء على بعد أمتار من الشاطىء، وراحت تنظر حولها بحثاً عن الشخص الدخيل. وصرخت بحدة:

ـ من هناك؟

شاهدت شخصاً طويل القامة يتقدم من زاوية مظلمة ويقف أمامها قائلاً:

ـ لم أعرف ان هناك حوريات ناطقة في هذا العالم.

عرفت تانيا، قبل ان تراه، ان صاحب هذا الصوت ليس الا جايك. استدارت بسرعة كي تسبح الى الجانب الآخر، ولكنها كانت تعلم انها غير قادرة على ذلك بسبب التعب وبرودة الماء.

ـ ارجوك ان تذهب من هنا يا جايك.

ابتسم بمرح ظاهر ثم تظاهر بأنه يتنهد بأسى، وقال:

ـ اوه، هذه ليست حورية. انها فقط السيدة لاسيتر تسبح في ضوء القمر. أليست المياه باردة جداً؟

أجابته وهي ترتجف حنقاً وبرداً:

ـ باردة للغاية! هل تسمح بالذهاب كي أتمكن من الخروج من الماء؟

ظل واقفاً يحدق بها، فيما كانت هي محتدة جداً لأنها في مياه عميقة تغطيها تماماً.

ـ اذا كنت ترفض الذهاب، فأرجوك ان ترمي لي المنشفة الموجودة على السلم الخشبي.

كرهت نبرة اليأس التي غلبت على صوتها، ولكن أوصالها بدأت ترتعد وعلمت انها لن تتمكن من البقاء طويلاً في هذه المياه الباردة.
سار جايك نحو السلم وأمسك بالمنشفة، ثم نظر الى زوجته وقال ضاحكاً:
ـ لو رميتها اليك، فلن يكون لديك شيء آخر تغطين نفسك به.
ردت عليه بغضب، وهي تلعن الظروف التي سمحت له برؤيتها في تلك الحالة المزرية المذلة:
ـ دعني أنا اقرر ما يتحتم علي القيام به.
هز كتفيه ورمى المنشفة على بعد امتار قليلة منها. تشبعت المنشفة بالماء وغرقت قبل ان تصل اليها. واضطرت ثانيا للاقتراب من السلم ووضع احدى قدميها على العارضة السفلى، كي تتمكن من الوقوف ولف نفسها بالمنشفة التي تحمل كمية كبيرة من الماء. وجهت اليه سهاماً حادة وخناجر قاتلة من عينيها الغاضبتين، ولكنه اصر على تأملها بخطورة وتهكم. أرادت ان تصرخ به، ولكنها علمت انه سيواجه صراخها بابتسامة ساخرة او ملاحظة خبيثة. فادارت ظهرها نحوه ولفت نفسها بتلك المنشفة الثقيلة التي كانت تخاف جداً ان تقع عنها اثناء صعودها السلم.
ـ يا للتواضع والخجل! أتظنين انني لم أشاهد نساء كما هنّ من قبل؟
ـ ولكنك لم ترني أنا!
تطلع في عينيها اللتين كانتا تنظران اليه بغضب شديد، وقال لها بصوت هادىء:
ـ هذا تصريح غريب من أم ابني.
تسمرت ثانيا في مكانها لحظة تحول فيها بردها الى حر شديد خانق، وقالت له بنبرة تمكنت من تضمينها القدر الكافي من الاحتقار والشماتة:

ـ ألا تعلم ان بالامكان في كثير من الاحيان ان يحدث ذلك دون الاضطرار لخلع الملابس؟
ـ اللعنة عليك!
وفي اللحظة التالية كان يقف قربها ويغرز اصابعه في كتفيها. هزها بعنف شديد قبل ان يسألها بعصبية بالغة:
ـ لماذا تصرين على تصوير ما حدث بأنه عملية قسرية؟
رفعت رأسها بهدوء نحو عينيه الغاضبتين وهي مصممة على استفزازه الى أبعد درجة. كانت تعرف ان لسانها السليط هو السلاح الوحيد المتوفر لديها.
ـ لا يمكنك ان تتذكر، أليس كذلك؟
غاب الغضب الحارق من عينيه وحل محله شعور كئيب وكبرياء جريح. أنزل يديه بسرعة وقال بذهول وهو يدير اليها ظهره:
ـ لا. لا، لا أذكر. ربّاه ساعدني! لا يمكنني ان أتذكر شيئاً.
انحنت ثانيا لالتقاط ثيابها بعيدا عن نظراته الفاحصة، وظلت عيناها تتأملان ظهره المستقيم العريض وكتفيه المتشنجين. أحست بألم يعصر قلبها وهي تنظر الى وقفته الشامخة . . . الحزينة. سارت بهدوء نحو البيت العائم لارتداء ثيابها. ولما وصلت الى الباب شعرت بأنها لا يمكن ان تتركه هكذا . . . يحمل نفسه كافة المسؤولية والذنب. نادته بصوت منخفض:
ـ جايك.
استدار نحوها جزئيا، فقالت له بصوت هامس قبل ان تدخل المركب:
ـ لا، لم يكن ما حدث بيننا هكذا.
سمعت صوت أقدام بمجرد اغلاقها الباب وراءها. وانتظرت صامتة لتعرف ما اذا كان جايك سيلحق بها للحصول على المزيد من الايضاحات. ولما لم تعد تسمع شيئا تنهدت بارتياح وأدارت المقصورة الصغيرة. وما ان نزعت عنها المنشفة المبللة، حتى سمعت طرقة

خفيفة على الباب وصوت جايك يقول لها بهدوء:
- تانيا استخدمي المنشفة الجافة الموجودة على المقعد الأمامي.
نظرت بسرعة الى المقعد وقالت له:
- وجدتها.
جففت نفسها وارتدت ثيابها خلال لحظات معدودة، ثم توقفت بتردد امام الباب. كانت تعلم انه بمجرد فتحها ذلك الباب، سوف تحدث امور لن تتمكن من السيطرة عليها... وربما ندمت عليها مستقبلا. الا انه لم يكن امامها بديل آخر غير البقاء داخل المركب طوال الليل.
وما ان فتحت الباب واغلقته وراءها حتى هب واقفاً بسرعة ولطف. كان يجلس على مقعد خشبي على بعد بضعة أمتار من باب المركب. حدقا ببعضهما فترة طويلة، قبل ان تحرر تانيا نفسها من قيود نظراته وتبدأ في السير نحو المنزل.
- تانيا، لا تذهبي الآن.
تراقص قلبها كفراشة على النار الخفيفة الحنونة التي تشتعل في عينيه الجميلتين. ولكنها قالت له:
- ارجوك، يا جايك. لا أريد التحدث عن تلك الليلة.
- لا اريد منك شيئاً سوى ان تعرفي الى اي قدر صدقك وأمانتك. ادرك تماما انك لم تكوني مضطرة للاعتراف بأي دور لك تلك الليلة.
لم يكن ثمة مجال للشك في صحة اخلاصه، وكان سحره يفعل فعله في رأسها وعقلها وقلبها. لم تتمكن من معرفة السبب الذي دفعها لتبديد شكوكه والتخفيف من عذاب ضميره. انه بالتأكيد شعور داخلي هذا الذي أرغمها على ذلك. وسمعته يضيف قائلاً:
- كما اني لم أشكرك بعد على عدم مهاجمتي امام ابننا. كثيرات

غيرك كن استخدمن الصبي للانتقام مني.
- لا يمكنني القيام بذلك اطلاقاً، فعلى الابن احترام أبيه.
- انك امرأة فريدة جدا. لم ادرك كم أنت فريدة وفذة حتى هذه الساعة. من المؤكد انه كان لديك والدان عظيمان. اتمنى من صميم قلبي لو انه كان بامكاني التعرف اليهما.
ولكن تانيا كانت تعلم انه لو ظل والداها على قيد الحياة، لما كانت لتقبل ابدا الزواج من جايك... ولما كانت لتصل أبدا الى ذلك الارهاق الجسمي والمعنوي من جراء محاولتها اعالة طفل رضيع والاهتمام به بمفردها. لو بقي والداها على قيد الحياة، لكانا تحملا معها بعض ذلك العبء الثقيل. كان من المحتمل جداً ألا يعرف جايك ابدا ان له ابناً.
ارتعش جسمها بسبب هذه الافكار، فقال لها بسرعة:
- لا شك انك تشعرين بالبرد.
وقبل ان تتمكن من الاحتجاج والاعتراض، خلع سترته ووضعها على كتفيها. شعرت على الفور بحرارة جسمه ورائحة دخانه وعطر رجولته. وما ان اقترب منها كي يزرر السترة، حتى أحست بانها تقف امام نار حارقة، وانها لا تريد شيئاً في الدنيا اكثر من ان يطوقها بذراعيه ويضمها الى صدره.
أخذت أصابعه تداعب شعرها برقة ونعومة، ثم توقفت يداه على عنقها وراحتا تتنقلان ببطء مثير. أمسك بذقنها ورفع وجهها نحوه بهدوء وحنان. نظرت اليه تانيا بعينين شبه مطبقتين، وتسارعت ضربات نبضها عندما شاهدت عينيه تركزان بشغف على شفتيها. سمعته يتمتم وهو يضمها اليه بقوة:
- انت جميلة يا تانيا. لا تقاوميني، يا حبيبتي.
استسلمت لعناقه المحموم وتأوهت... أجراس تقرع فرحا في رأسها، ونجوم تضيء داخل عينيها. رقصت على حائط صدره القوي، ورفعت يديها لتطوق عنقه بشغف مماثل. وشدها كثيرا اليه

حتى كادت ان تصبح جزء منه. وقفت السترة عنها، فلم تشعر بذلك. لم تعد بحاجة الى قطعة من القماش لتدفئها، فحرارة جسمه تكاد تحرقها. أحست بأن ركبتيها ترتجفان وبأن رجليها لن تتحملاها طويلاً. خافت من النتيجة الحتمية لتلك الداعبة الخبيثة، فحاولت وضع يديها على صدره لابعاده عنها قليلا.

طوقها بقوة اكبر، منتصرا على اعتراضها الضعيف بتصميمه المتغطرس القوي. فعادت يداها المرتجفتان تداعبان وجنتيه وجبينه وعنقه. ووضع رأسها على صدره طلا على تلك الحالة دقائق عدة، وكأن ايا منهما لم يكن راغبا في التحرك او الابتعاد عن الآخر. وفجأة أمسك بذراعيها وأبعدها عنه قليلا فيما ظلت يداها ممسكتين بخصره. قال لها:

- انظري الي يا تانيا.

رفعت رأسها نحوه مرغمة، لأنها تعرف ان رغباتها القوية تجاهه لا تزال مشعة بوضوح في عينيها. ولكنها أطاعته ونظرت الى ذلك اللهيب الأزرق الذي يشتعل في عينيه. بدا عليه الارتياح عندما شاهد ردود الفعل التي أثارها فيها، وسألها مازحاً:

- هل هذا هو سبب التيارات الكهربائية التي تولد بيننا؟

ابتسم عندما شاهد احمرار وجنتيها، وعاد يسألها:

- هل ما زلت تعتقدين ان زواجنا قضية فاشلة لا قيمة لها؟

شعرت تانيا في هذه اللحظة بالذات، واكثر من اي وقت مضى، انها تريد من زواجهما ان يكون حقيقيا ومكتملا. ولكنها احست بان ذلك لن يكون ممكنا، فانهمرت الدموع من عينيها وقالت له بصوت مهزوم معذب:

انه لأمر مستحيل، يا جايك.

شعرت بأن عضلاته تجمدت كقطعة كبيرة من الجليد. وبأن

جملتها القصيرة كانت كخنجر طعنه في قلبه.

- مستحيل؟

قالها بغضب عارم، فيما كانت يداه تضغطان بقوة على ذراعيها وتهزان جسمها بعنف وألم. وعاد يسألها باستغراب:

- مستحيل؟ ماذا تعنين بذلك؟

أجابته بصوت متهدج ضعيف:

- لا يمكن ان تنجح. ثمة امور كثيرة لا تعرفها عني.

وترددت لحظة لأنها خافت من الأسئلة الكثيرة التي سيطرحها نتيجة سماعه جملتها الأخيرة. فسارعت الى تغطيتها بالقول:

- كذلك فان هناك امورا كثيرة لا أعرفها عنك.

عادت اليه غطرسته وعزة نفسه، فقال:

- لا يمكنني ان أقبل هذا التبرير.

- اوه، ارجوك. ألا يمكنك ان تترك الأمور كما كانت؟

- لا، لأن الأوان فات ولم يعد بامكاننا إعادة عقارب الساعة الى الوراء.

شعرت تانيا بأن نظراته القاسية التي لا تلين تكاد تخترق رأسها لتكشف أسرارها الدفينة. وسمعته يقول بعد لحظات:

- كان علي ان أقنعك الآن، وان أجعل رضوخك أمراً لا رجوع عنه.

- لا! لا!

وقفزت خائفة الى الوراء، مذعورة من انه قد يقرر ذلك في اي لحظة. لم يحاول الاقتراب منها، بل هز رأسه باستغراب غاضب وقال:

- قلت بنفسك ان جون بحاجة لأب. كذلك هو بحاجة الى أم. لا يمكنك ان تتوقعي منا ان نتصرف كوالدين طبيعيين بقية حياتنا، ونبقى في الوقت ذاته غريبين عن بعضنا.

هزت كتفيها كمن فقد أمله، وقالت:

ـ أنا لا أتوقع ذلك.

ـ وماذا تتوقعين إذن؟ لا، لا تجيبي على هذا السؤال. أنا أعرف ماذا تتوقعين. ربما ستطلبين مني العودة الى افريقيا.

ابتسمت تانيا رغماً عنها بسبب ممازحته الغاضبة لها، وقالت بصوت ناعم:

ـ قد أطلب منك الذهاب هذه المرة الى المناطق القطبية.

عادت الجدية الى وجهه بسرعة وقال لها:

ـ سألني جون اليوم اذا كان بإمكانك مرافقتنا بعض الوقت كما نفعل شيئاً. ليس دائماً، ولكن بين الحين والآخر.

توقف لحظة لم ينتظر خلالها جواباً او تعليقاً، ثم مضى الى القول:

ـ اننا بحاجة لبعض الوقت كي يتمكن كل منا من معرفة الآخر بطريقة صحيحة. قلت لك ذلك في الليلة الاولى لعودتي. ولهذا السبب ايضاً لم أعاملك قبل قليل بالطريقة التي كنت أريدها. انا كنت غير راغبة في قضية أي وقت معي على انفراد في الوقت الحاضر، فمن لك بحارس أمين أفضل من صبي في السابعة من عمره؟

ـ أوه جايك. لا أعلم. اني حقاً لا اعلم.

ارادت أن توافق، ان لم يكن لأي سبب فمعرفة ما اذا كانت العلاقة بينهما اكثر من مجرد نزوات متقطعة ومفاجئة. ولكن... لو كانت كذلك، فماذا ستجني؟ أدارت وجهها عنه بتمهل وبدأت تسير بهدوء نحو البيت.

ـ لدينا الآن إبن ووثيقة زواج. لا أعلم اذا كنا سنجد مستقبلاً طيباً لنا ام لا. ولكني أعلم بالتأكيد اننا ان لم نقم بأي محاولات لمعرفة ذلك، فلسوف نظل نتساءل دائماً عما اذا كان بإمكاننا انجاح هذا الزواج... لو حاولنا.

كان يقف وراءها ويتحدث اليها بصوت جدي ناعم. لم تحتج او تعترض عندما وضع يديه على كتفيها وأدار وجهها نحوه. أمسك ذقنها ورفع وجهها نحوه قائلاً:

ـ أنا أعلم ان فرص انجاح زواجنا قليلة وضعيفة، ولكننا يجب ان نحاول. لا اعرف كيف ستنظرين الى هذا الموضوع، يا تانيا. ولكن فيما يتعلق بي، فأنا رجل عنيد حقاً ويجب ان ارى بأم العين ان انجاح هذا الزواج أمر مستحيل. انا لست مقتنعاً حتى الآن بحتمية فشله.

كانت تقول لنفسها منذ سنوات عدة انها تكرهه. وكم من مرة قالت لها والدتها ان خيطاً دقيقاً جداً يفصل بين مشاعر الحب والكراهية المتساوية من حيث القوة وعمق الجذور. هل كانت تتصور طوال هذه السنوات انها تكرهه، في حين انها كانت في الحقيقة تحبه وتريده؟ نظرت اليه وحاولت ايجاد الشجاعة الكافية للرد عليه، ولكنها لم تتمكن من ذلك. تململ من صمتها قليلاً، وقال:

ـ اذا كنت خائفة من انني سأستغلك، فسوف أتعهد لك منذ الآن بأنني لن ألمسك.

ـ ليس هذا هو الأمر. انا لا اعترض، مع انني... مع انني...

ـ لن نتجاوز الحد الذي وصلنا اليه الليلة، ما لم تطلبي مني بالتحديد اكثر من ذلك.

شلت نظراته القوية الملتهبة قدرتها على التصرف او حتى الكلام. فسألها:

ـ هل توافقين على اقتراحي بأن نحاول التعرف حقيقة على بعضنا؟

تنهدت تانيا وردت عليه ايجاباً بكلمة واحدة فقط. وشعرت بأن جواً من الطمأنينة والسكينة خيّم على افكارها، وبأن تشككها من صواب قرارها زال واختفى:

ـ هذا يدعو لبهر اتفاقنا بالعناق، أليس كذلك؟

منحها جايك وقتاً كافياً لتغمض عينيها دليل الموافقة. كان

جسمها كله يريد ذلك العناق والنار التي سيشعلها فيها. عانقها لفترة قصيرة ولكن دون تسرع، فأحست بلهيب ناعم يلفح جسمها ويثير مشاعرها. ارتجفت رغبة، فالتقط السترة من الارض ووضعها حول كتفيها. هل تعمد اساءة فهم تلك الحركة ومغزاها؟

ـ هل أنت على استعداد للعودة الى المنزل؟

هزت رأسها موافقة، لأنها تعلم ان وجودها معه هنا على انفراد ليس الا لعباً بالنار. أحست بسعادة كبيرة عندما طوق كتفيها بذراعه وأبقاها ملتصقة به. سرقت نظرة سريعة الى وجهه، فشاهدت إبتسامة سرور واكتفاء... وربما انتصار. وتساءلت عما اذا كانت تتصرف بغباء مرة اخرى! وسمعته يقول لها، وكأنه قرأ افكارها:

ـ لن تندمي على قرارك ابداً. من المحتمل جداً ان تكتشفي بنفسك انني شخص رهيب.

ضحكت وقالت له بنعومة:

ـ اعتقد انني [illegible] الشرة المدهشة الى [illegible] ودعوتني [illegible] ضمنت على ذلك واستطعت سحرك وجاذبيتك.

ـ لن أجد في هذه الحالة الآن اي صعوبة على الاطلاق مع زوجة صغيرة طيبة.

ـ المشكلة انني لست لعبة.

ـ وانا لا أريد مجرد قطة وديعة.

ظهر والده امامهما بصورة مفاجئة، فحياه جايك بهدوء وكأن وضع ذراعه حول جسم زوجته أمر طبيعي للغاية. وجّه جاي دي نظرة استغراب سريعة نحو تانيا، ثم قال وهو يبتسم بسرور حقيقي:

ـ انها ليلة رائعة، أليس كذلك؟

ـ قمنا بنزهة قصيرة على شاطىء البحيرة.

لم تشعر تانيا بأنها قادرة على الخوض في تفاصيل سخيفة عن الطقس والطبيعة، فخلعت سترة جايك عن كتفيها قائلة:

ـ اعذرني! أشعر... بقليل من التعب، واعتقد ان علي الذهاب الى النوم.

أحست بشيء دافىء وجميل للغاية في نظرات جايك، عندما تمنى لها مساء ليلة سعيدة وهانئة. وشعرت بأن تلك النظرات أعادت الراحة والسكينة الى قلبها المعذب...

٦ - الحلم المستحيل

مر الأسبوع الأول في فترة الهدنة المعقودة بينهما بصورة عادية هادئة، وكأنه ليس بينهما اتفاق جديد بالغ الأهمية. ظنت تانيا في بادىء الأمر انه ربما كان يمنحها فرصة للتراجع. ولكن ذلك من السخافة بمكان، لأن جايك ليس من النوع الذي يسمح بتراجع احد عن كلامه او عهده.

خرجت معه مرة لفترة قصيرة. ذهبا وجوني، بعد انتهاء يومه الدراسي، في رحلة لصيد السمك. كان الصبي سعيداً للغاية لوجود والديه سوية، مما جعل تانيا تشعر بالذنب لعدم مرافقتها قبلاً. امتنع جايك حتى عن النظر اليها مؤنباً ومعاتباً، واقتصرت النظرات التي تبادلاها على الاعراب عن الارتياح والسرور الشديدين لسعادة الصبي

وفرحه.

مشت تانيا بتمهل ومتعة على الطريق الخاصة التي تصل المنزل بتقاطع طرق جانبية. وكانت الساعة تجاوز الثانية بقليل، مما يعني انه لا تزال هناك ثلاث ساعات قبل عودة جايك من رحلته شبه اليومية الى مكاتب الشركة في هانفليد. كان يذهب احياناً برفقة والده، وبمفرده معظم الأحيان. وشعرت تانيا بالخوف من الطريقة التي بدأت ترقب فيها بشوق ساعة عودته الى البيت.

فتحت علبة البريد الموجودة في نهاية الطريق وراحت تتفحص محتوياتها. وفجأة، برز اسمها واضحاً على احد الظروف. لم يكن هناك اي مجال للخطأ او الاشكال. كان الظرف معنوناً الى السيدة تانيا لاسيتر، وكانت تعلم وهي تفتحه ان الرسالة في داخله ليست الا من باتريك رايتز. حاولت مرات عديدة في الأيام القليلة الماضية ان تسطر له رسالة توضيحية، ولكنها لم تجد في كل مرة سوى كلمات باردة ورسمية للغاية. وقرأت بغصة رسالته القصيرة التي طالبها فيها بمقابلته ظهر الاربعاء في مطعم بريميوت تري واضاف انه ان لم يجدها هناك، فسوف يعرف انها لم تتمكن من مغادرة البيت. وكانت رسالة السطرين اليتيمين موقعة باسمه الأول فقط.

وضعت تانيا رسالته في جيب سروالها البرتقالي، فيما كانت تقاوم رغبتها في الاسراع الى المنزل والاتصال به هاتفياً للرد على طلبه. امتنعت عن ذلك لأنها سوف تضطر للكشف عن اسمها لسكرتيرته، وبما انه لم يكن لديها في السابق اي سبب يدفعها للاتصال به في مكتبه، فان اي اهتمام مفاجيء به سيفسح المجال للألسنة الثرثارة كي تبدأ حملة قاسية ضدها.

لن يكون لديها غداً الاربعاء الوقت الكافي كي تقرر ما اذا كان عليها مقابلته ام لا. وقالت تانيا لنفسها بانقباض ان رفضها ملاقاته لن يؤدي الا الى تأجيل الأمور، لأن من المؤكد انه سوف يبعث لها برسالة مماثلة. قد لا تكون محظوظة في المرة المقبلة، ويعثر على رسالته

شخص آخر.

انها تذهب عادة للتسوق في هالفيلد، وبالتالي فانها لن تثير شكوك احد لو ذهبت غداً. كانت تعرف انها سوف تقابل باتريك، ولكنها لم تكشف لأحد الهدف الحقيقي لذهابها... وبخاصة جايك. لم تصدق انه سيتفهم الوضع على حقيقته وعندما اعلنت في المساء عن قرارها الذهاب الى هالفيلد في اليوم التالي، تقبل الجميع ذلك بصورة طبيعية. ولكنها لم تنجح بالسهولة التي كانت تتوقعها، لأن جايك اقترح عليها تناول الغداء معه.

اغمضت عيونها بسرعة كيلا تفضح نفسها. ما هي الأعذار التي يمكنها التعلل بها لرفض دعوته؟ شاهدها مترددة، فقرر منحها فرصة الانسحاب بشموخ. قال لها باسماً:

ـ اتصور ان عليك عدم التعويل كثيراً على هذه الدعوة، لأني قد لا اتمكن من تخصيص الوقت الكافي لوجودنا معاً. ربما مرة اخرى؟

هزت تانيا رأسها وابتسمت بارتياح، قائلة:

ـ مرة اخرى.

هل جعله وضوح عدم رغبتها في تناول الغداء معه يشك بوجود رجل آخر اسمه باتريك؟ لا، لا يمكن ذلك. سيضع اللوم على ترددها في مقابلته على انفراد. اراد جزء منها ان يؤكد له عكس ذلك، وان يشرح له بالتفصيل اسباب اللقاء مع باتريك. ولكن صوتاً بارداً ظل يقول لها ان ذلك ليس من شأنه، وانها ليست مضطرة للافصاح عن حقيقة نواياها.

حجبت الغيوم السوداء شمس اليوم التالي، وكان الرعد يهدر مهدداً متوعداً. هطل المطر بغزارة ثم عاد الى وضعه السابق، خفيفاً ومتقطعاً. لم تكن ثمة خلفية مناسبة اكثر من تلك للقاء السري مع باتريك. الجو حزين وهي حزينة اكثر. كانت ترتجف في سيارتها ارتباكاً وضيقاً. لم تفعل شيئاً مماثلاً من قبل. وعلى الرغم من حسن نواياها ونبل اهدافها، فقد شعرت بأنها ترتكب خطأ جسيماً. حاولت

جاهدة تناسي مشاعر الخجل المتزايدة، التي كانت تشعل احمراراً غير طبيعي في وجنتيها.

وضعت المظلة بشكل قريب جداً من رأسها، كي تخفي وجهها وهي متوجهة بسرعة الى المطعم. ولم تشعر بشيء من الأمان الا عندما اصبحت في داخله. كان الوقت آنذاك تمام الثانية عشرة ظهراً. تنفست بعمق وهي تقترب من النادلة لتسألها عن باتريك.

ـ هل انت بمفردك يا سيدتي؟

ـ لا، سأكون مع السيد باتريك رايتز. هل تعلمين اذا كان قد وصل ام لا؟

ـ السيد رايتز، نعم، طبعاً. تفضلي معي، يا سيدتي.

فهمت تانيا، وهي تتبع الشابة المهذبة نحو نهاية الغرفة الطويلة الضيقة، سبب اختيار باتريك لهذا المطعم بالذات. انه ممتاز لمن يريد الانفراد بأحد بعيداً عن عيون الفضوليين وسماجتهم. وكانت المقصورة التي اختارها باتريك لا تسمح لأحد اطلاقاً بأن يراهما. وقف بتأدب، فيما كانت تجلس الى الجانب الآخر من الطاولة، وقال مبتسماً:

ـ لم اكن اظن انك ستأتين.

لم تتمكن تانيا من النظر الى عينيه اللتين كانتا تشعان شغفاً وهياماً. فتحت فمها لتشرح له سبب حضورها، الا ان النادلة عادت تسأل بتهذيب جم عما اذا كانا بحاجة الى اي شيء. احست بأن القهوة قد تساعد اعصابها المتوترة على الهدوء قليلاً، فطلبت فنجاناً كبيراً. كرر باتريك الطلب ذاته وصرف النادلة قائلاً انه سيستدعيها لاحقاً لطلب الطعام. ثم وضع يده بهدوء على يد تانيا للتخفيف من توتر اعصابها، الا انها سحبتها بسرعة ووضعتها على ركبتها المرتعشة.

لم يتحدث اي منهما الا بعد ان احضرت النادلة فنجاني القهوة وانصرفت. اعتذر باتريك قائلاً:

ـ آسف لأنك تشعرين بمثل هذا الانقباض والانزعاج، يا تانيا.

اني لو كانت ثمة طريقة اخرى لمكننا من اللقاء بارتياح.

هزت كتفيها بعصبية وقالت:

ـ لا يهم كثيراً اين وكيف نلتقي هذه المرة. لم احضر الى هنا الا لأقول لك ان هذا هو اللقاء الأول والأخير بيننا.

لم يصدق ما سمعته اذناه، فسألها بذهول:

ـ ماذا تقولين؟

ـ آسفة يا باتريك. ولكنني لن اتمكن ابداً بعد الآن من مقابلتك على هذا النحو.

ـ لماذا؟ لماذا يا تانيا؟

ـ حاولت ان اكتب لك رسالة اشرح فيها اسبابي ودوافعي، ولكني كنت اجد كلماتها في كل مرة باردة وجافة وغير شخصية. ولذا قررت مقابلتك اليوم كي اشرح لك... اني اتفقت وجايك على محاولة القيام بجهد لانجاح زواجنا.

ظهر الغضب جلياً في وجهه وعينيه وقال لها، وهو يحاول بصعوبة بالغة السيطرة على اعصابه:

ـ ماذا؟ انت اخبرتني بنفسك ان زواجك من لاسيتر كان فاشلاً وشكلياً، ولم يتم الا من اجل الصبي. فلماذا هذا الاهتمام المفاجيء، بعد سبع سنوات من الانفصال لجعل ذلك الزواج حقيقة ثابتة؟

صححت معلوماته بحلم، مع انها تفادت الرد على سخريته الحادة واللاذعة، قائلة:

ـ انا لم نبدأ فجأة بمحاولة انجاح زواجنا. على اي حال، فمن المحتمل جداً الا تصل بنا هذه المحاولات ابداً الى اي نتيجة ايجابية.

ـ اذا كنت تشعرين بالتشاؤم الى هذه الدرجة، فلماذا ازعجت نفسك بقبول اقتراحه؟

قالت تانيا لنفسها انها بدأت فعلاً تحب جايك، ولكنها لم تتمكن من اخفاء ذلك طويلاً. وعندما سيكتشف انها تحبه، ستنهار تلك المشاعر الضئيلة من المحبة والثقة التي ستتمكن من الفوز بها خلال

الاشهر القليلة. كيف ستتمكن من الاحتفاظ به الا بواسطة جون؟ وهل ستكون قادرة على ذلك وهي تعلم بمدى الاشمئزاز الذي سيشعر به جايك تجاهها؟ تنهدت وقالت لباتريك:

ـ وافقت لأن جايك اوحى لي صراحة باننا اذا اكتشفنا بعد فترة تجريبية لا تزيد على بضعة اشهر ان زواجنا لا يمكن ان ينجح، فالطلاق سيكون البديل البديهي.

خفف تفسيرها من حدة غضبه الى درجة ملحوظة، وسألها:

ـ الم يرد اي ذكر للطلاق في فترة سابقة؟

ـ لا، بسبب جون. اعتقد ان جايك اكتشف بنفسه منذ عودته الى البيت انني لم اتحدث عنه بسوء الى الصبي، او انني حاولت استعداء جون على ابيه. واتصور ان جايك لن يشعر بعد الآن ان الطلاق سيعني فقده محبة ابنه وثقته.

احزنت هذه الفكرة قلب تانيا كثيراً، ولكنها مضت الى القول:

ـ يشتهر آل لاسيتر بتعلقهم الشديد بالروابط العائلية. ومن المؤكد ان جايك لم يكن ليفكر سابقاً بالطلاق مني، ما لم اكن انا راغبة او راضية بالتخلي عن جون.

ابتسم باتريك باعتذار وقال:

ـ آسف جداً لانني كنت قبل قليل غاضباً الى تلك الدرجة. ولكنني الآن افهم بسهولة سبب موافقتك على اقتراحه. ولكن... ماذا بشأني انا؟

كانت تعلم ان هذا السؤال لا بد من ان يطرح في نهاية الأمر، وشعرت تانيا انه سيكون من غير المجدي اطلاقاً، بالنسبة لباتريك، ان تطالبه بالانتظار. تطلعت اليه بطريقة تشعره بمدى تصميمها وثبات قرارها، وقالت:

ـ يجب الا اراك بعد الآن، يا باتريك.

ـ هل تعتقدين حقاً ان جايك سيمتنع عن مقابلة شيلا؟

صعقت تانيا لسماعها ذلك السؤال. لم تكن تعرف فعلاً ما اذا

كان جايك يقابل شيلا ام لا، باستثناء تلك المرة التي امضت فيها الليلة في نزهته البحرية مع جون. ولكن باتريك هو شقيق شيلا ويجب ان يعرف اكثر من تانيا عن تحركاتها. اجابته بهدوء، وهي تستغرب رد فعلها اللاانفعالي عن السؤال:

- لا ادري ما اذا كانا يتقابلان ام لا. كما ان هذا الأمر لا يؤثر ابداً على قراري الامتناع نهائياً عن مقابلتك انت.

- هل هناك من سبب يحملني على الانتظار؟

- كلا. وانا لا اطالبك بذلك.

رد عليها بكثير من المرارة والأسى:

- هذا يوضح كل شيء بصراحة، اليس كذلك؟

- آسفة يا باتريك. اني حقاً آسفة. انا اعرف مدى اعجابك بي...

- اعجابي بك! رباه، ماذا اسمع!

شاهد النظرة الملتبة التي ظهرت بجلاء في عينيها، فابعد وجهه عنها وفجأة، سألها بهدوء لا يصدق:

- هل ابلغت جايك بانك آتية الى هنا؟

ردت عليه بصوت خائف متهدج:

- لا، طبعاً لا!

- لقد دخل الآن لتوه.

حاولت النظر نحو مدخل المطعم، فهمس باتريك بحدة:

- لا! لا تنظري حولك!

احست بانها تكاد تعياً، وسألته بصوت منخفض:

- هل شاهدنا؟

- لا، لا اعتقد ذلك. انه مع ذلك الرجل ماكلاود من منظر جلسا لتوهما وظهر جايك الينا.

ثم ابتسم بسخرية قائلاً:

- اتصور انك لا تريدينه ان يعرف باجتماعنا هذا!

- طبعاً لا. ماذا سنفعل الآن؟

- لا يمكننا ان نغادر هذا المكان دون ان يرانا. وبالتالي، فاني اقترح بالحلاص ان نتناول طعام الغداء.

لم تأكل تانيا معظم الوجبة الخفيفة التي طلبها لها باتريك. كانا جالسين بصمت، اذ لم يعد ثمة شيء هام يتحدثان فيه... كما ان الوقت لم يكن مناسباً للبحث في امور اخرى كالطقس والسيارات وغير ذلك من الموضوعات العادية.

- اعتقد انهما سيذهبان. ها هما وقفا ويتجهان الآن نحو الباب. سنظل هنا بضع دقائق اخرى للتأكد من ذهابهما نهائياً.

شعرت تانيا بانها اعفيت من حكم بالاعدام. ظلت جالسة عشر دقائق تقريباً قبل ان تتوجه وباتريك الى مدخل المطعم كي تأخذ مظلتها ومعطفها الواقي من المطر. قال لها:

- ربما كان من الأفضل ان نغادر المطعم كل على حدة.

هزت رأسها بالموافقة، ومدت يدها بتردد لتصافحه وهي تقول:

- آسفة، يا باتريك، لان الأمور تطورت على هذا النحو.

- انا آسف اكثر منك بكثير. حظاً سعيداً، يا تانيا. واخشى انك ستكونين بحاجة الى ذلك.

غادر باتريك المطعم على عجل، فيما ظلت تانيا واقفة هناك بعض الوقت قبل ان تخرج بتمهل وتتوجه نحو سيارتها. وما ان اقتربت قليلاً حتى فتحت فمها دهشة وهلعاً لانها شاهدت جايك يجلس وراء المقود. لم يكن امامها مجال للهرب. انطلقت السيارة نحوها بسرعة وتوقفت بعنف على بعد خطوة منها. نزل جايك بعصبية واستدار حولها ثم فتح الباب الأمامي بحدة فائقة. رأت تلك النظرة الفولاذية القاسية في عينيه، ففقدت اي امل في امكانية الشرح او الايضاح. وقبل ان تخطو بصعوبة نحو الباب، سمعته يسألها غاضباً:

- في اي فندق تريدين مقابلته؟

شعرت بوطأة الاهانة الجارحة، تصفعته بأقصى قوتها وحبست

عزة نفسها الدموع في عينيها، حتى عندما امسك بكتفيها وهزها بعنف شديد. حدقت بها عيناه الفولاذيتان ورأت مدى الانفعال الذي اثاره في نفسه، الا ان غضبه لم يخفف من شعور الاذلال الذي غمرها نتيجة لاتهامه الكاذب. دفعها بقوة الى السيارة، ثم جلس وراء المقود وقادها بسرعة جنونية.

علمت انه سيذهب بها الى البيت، وكانت تعيسة لدرجة انها لم تأبه اطلاقاً للمناظر الخلابة التي تنعم بها تلك المنطقة. كان صمته المطبق اشد ايلاماً وادانة تقريباً من كلماته السابقة، وكادت ان تبكي لأوجاعها. حاولت مرات عديدة ان تستجمع قواها وتشرح له سبب مقابلتها لباتريك، الا ان الكلمات كانت تموت على شفتيها كلما نظرت الى وجهه المتحجر القاسي وملامحه المرعبة.

اوقف السيارة امام المرآب، فقفزت منها بسرعة وتوجهت نحو البيت. كانت تأمل في الوصول الى غرفتها قبل انهيار سيطرتها على اعصابها وانهمار الدموع غزيرة من عينيها. كان جايك اسرع منها، اذ امسكها بعنف وسألها بلهجة قاسية:

- الى اين تظنين انك ذاهبة؟

اجابته بمرارة بالغة، وهي غير مبالية بأن تضيف كلماتها املاحاً حارقة الى جروحها:

- للاتصال بباتريك طبعاً، كيلا يقلق عندما لا يجدني في الفندق! وهل تظن ان ثمة سبباً آخر يدفعني الى الدخول بمثل هذه السرعة؟

- اود ان ادق عنقك الحلو بهاتين اليدين.

ووضع يديه القويتين حول عنقها وكأنه على وشك تنفيذ تهديده، ثم قال:

- لم تشمل الصفقة التي توصلنا اليها اي بند يسمح لك بمقابلة باتريك على هذا النحو. ماذا كنت تنوين القيام به؟ استغلالنا معاً؟

وجدت صعوبة كبيرة في اخراج كلماتها الغاضبة المتقطعة، ولكنها قالت:

- لمعلوماتك الخاصة، يا سيد لاسيتر، لم اكن احاول استغلال اي شخص على الاطلاق. اتصلت بباتريك لابلاغه بانني لن اقابله بعد الآن. وأؤكد لك بانني لا ابالي ابداً اذا كنت ستصدقني ام لا!

- لا يمكنني ان احتمل الكذب علي. اذا لم يكن كلامك هذا صحيحاً، فسوف اعرف الحقيقة في نهاية الأمر.

فتحت عينيها عندما اصبح عنقها طليقاً من قبضته القاسية، وتمتمت قائلة:

- هذه هي الحقيقة يا جايك. تصورت ان من الانصاف فقط ابلاغه عن اتفاقنا حول...

اجهشت بالبكاء فاختنقت بقية الكلمات في حلقها. احنت رأسها وراحت تجفف الدموع التي انهمرت على وجنتيها. وضحك جايك بانزعاج وهو يقول لها:

- يا لك من انثى غبية ومجنونة! عندما شاهدتك مع رايتز في تلك الزاوية المعتمة من المطعم، ادركت ان هذا اللقاء كان سبب هلعك امس عندما دعوتك الى تناول الغداء معي. شعرت بانني سأفرح كثيراً لو ضربتكما معاً. اضطر ستيف ماكلاود ان يكرر نفسه مرات عديدة، لانني لم اكن اركز على كلامه. كل ما كنت افكر به آنذاك هو وجودكما معاً في لقاء علني، وتجاهلك باستخفاف للاتفاقية التي توصلنا اليها لتونا.

نظرت اليه بشموخ وقالت بصوت لا يزال ضعيفاً ومتهدجاً:

- لم يكن الأمر كذلك على الإطلاق.

مد يديه نحوها حتى كادتا ان تلامسا كتفيها، الا انه اعادهما الى جانبيه في اللحظة الاخيرة. شعرت ثانياً بان غضبه زال تماماً، وتأكد لها ذلك عندما امسك باحدى يديها برقة ونعومة قائلاً:

- اعرف ذلك الآن. اني ادين لك بالاعتذار، وهذه المرة اقدمه لك دون تردد. كان علي الا اتهمك فوراً، او على الأقل ان استمع الى تبريرك لما حدث.

تنهدت تانيا بقوة لأنه فاجأها بكلامه هذا الذي لم تكن تتوقعه. سألته بتردد:

- هل تصدقني؟

ابتسم بحنان وأجابها:

- نعم، أصدقك.

أرادت أن تلقي بنفسها بين ذراعيه وأن تظل هناك حتى يذوب عذابها وألمها الشديدان. بللت شفتيها بلسانها، وهي تدرك أنه لاحظ ذلك بسرور. ثم قالت له بهدوء وارتياح:

- شكراً لأنك صدقتني. كان على اطلاعك على ما كنت أنوي القيام به.

- لم نصل بعد الى المرحلة التي يثق فيها الواحد منا بالآخر. إلا أنه كان لهذه الحادثة المؤسفة جانب ايجابي سمح لكل منا بمعرفة المزيد عن الآخر.

- ماذا تعني؟

- كنت تعرفين دائماً أنني ذو مزاج عصبي كريه. ولكنني آمل أن تكوني اكتشفت اليوم أنني قادر على الاعتراف بالذنب عندما أرتكب خطأ.

كانت ملامحه تتسم بالود والحنان ليس إلا، عندما مضى الى القول:

- كذلك علمت أنا أنك لا تتعمدين خداعي. أنا سعيد لأنك انسانة صادقة وأمينة، لأني لست من صنف الرجال الذين يسمحون باستغلالهم.

- أعتقد أنني كنت أعرف ذلك.

وأدارت وجهها ثانية نحو البيت، إلا أنه قال لها بصوت منخفض:

- لم تتمكني اليوم من التسوق في هانفيلد. وبما أنني مضطر للعودة الى المكتب، فمرافقتك لي ستكون على الرحب والسعة.

أرغمت نفسها على توجيه ابتسامة خفيفة له وتابعت سيرها. وكانت تظن أنه سيلحق بها. ولكنها ما كادت تصل الى الباب، حتى سمعت صوت المحرك وشاهدته ينطلق بالسيارة نحو البلدة.

عاد جايك ووالده، فيما كانت تانيا تعد طاولة العشاء. خرجت جوليا لاستقبال زوجها وابنها، وانضم اليها بعد لحظات صبي سعيد يتشوق لرؤية أبيه وجده. وتمنت تانيا لو أن بامكانها الخروج كزوجة عادية لاستقباله والترحيب به وبوالده، إلا أنها اكتفت بالبقاء في غرفة الطعام والاستماع الى أصوات الأشخاص الأربعة في الخارج. سمعت جوليا تسأل جايك بصوت مرح عما يحمله بيده، وتبع ذلك سؤال مماثل من جون.

- انها هدية. أين والدتك؟

- لا أعرف.

- انها تعد المائدة يا بني.

وسمعت تانيا صوت أوراق تتمزق وجون يقول:

- انها جميلة يا أبي.

ثم سمعت صوت أقدام قوية تقترب من غرفة الطعام، فحبست أنفاسها. جايك قادم لرؤيتها. أدارت وجهها بعيداً عن الباب، وراحت تعبث بالملاعق والشوك الفضية الموضوعة بعناية قرب الصحون الخزفية الثمينة.

- تبدو لي الطاولة جميلة جداً ولا تستدعي المزيد من الاهتمام.

بدأت تانيا تردد كلمات الترحيب المتدفق، وهي تستدير نحوه بهدوء بالغ:

- مرحباً يا جايك. علمت بوصولكما أنت وجاي دي. سيكون العشاء جاهزاً خلال فترة وجيزة.

تحولت ملامحها الهادئة الى دهشة ذاهلة وهي تحدق بباقة من الورود الصفراء الرائعة كان يحملها بيديه. ابتسم لها برقة قائلاً:

- هذه الورود لك، ألن تأخذيها؟

اخفت تانيا الباقة بيدين مرتجفتين ولامستها بأنفها، كي تنعم بالمزيد من عطر رائحتها . . . وتتأكد من انها حقيقية.

- هل تعجبك هذه الورود؟

- انها . . . انها رائعة . ولكن لم تكن بحاجة لازعاج . . .

قاطعها بصوت دافىء هامس، قائلاً:

- احببت ان احضر لك باقة من الورود.

حزنت تانيا لأن الورود كانت هدية اعتذار عن تصرفه الغاضب، وسألته بهدوء:

- هل احضرتها بسبب ما حدث بعد ظهر اليوم؟

ابتسم بطريقة مداعبة جعلت دقات قلبها تعنف وتتسارع، وقال:

- انت لست طفلة ارفه عنها واعيد البسمة الى وجهها بمجرد احضار هدية لها . لا يمكننا، يا عزيزتي، التعويض عن الأذى الذي الحقه كل منا بالآخر طوال السنوات الماضية . بإمكاننا فقط ان نحاول عدم ايذاء بعضنا في المستقبل.

- فلماذا الورود اذن؟

- لأنني اردت ببساطة ابتياع بعض الورود الفريدة لامرأة فريدة . هل يكفي ذلك؟

- نعم . لم يأتني احد من قبل بأي ورود على الاطلاق.

تسمرت في مكانها عندما شاهدت وجهه يقترب من وجهها . احمر وجهها كثيراً وقالت له بصوت منخفض متلعثم انها مضطرة لوضع الورود في الماء . كانت جوليا واقفة في المطبخ عندما دخلت تانيا لاحضار الماء . نظرت اليها بعينين تضجان فضولاً واستغراباً، وانتظرت توضيحاً او تفسيراً لهذه الخطوة النادرة . ولما لم تحصل على اي ايضاح، قالت لها بهدوء مصطنع:

- انها ورود جميلة جداً، اليس كذلك؟ لماذا لا تضعينها في ذلك الاناء الشرقي الكبير؟ ستكون رائعة في منتصف المائدة.

رفضت تانيا ان يشاركها احد في اول هدية عاطفية لها من جايك،

وقالت:

- ان لم يكن لديك مانع، يا جوليا، فاني افضل وضعها في غرفتي.

تراجعت جوليا لاسيتر ببرودة وكأن احداً صفعها بعد تقديمها اقتراحاً ودياً للغاية . وقالت:

- بالطبع يمكنك اخذها الى غرفتك . كانت فكرة المائدة مجرد اقتراح بسيط . لم اعلم ان جايك احضرها لك انت.

اوحت لهجة جوليا بانها تعتبر نفسها اجدر من تانيا باستلام مثل هذه الهدية الرقيقة . وتنهدت الزوجة الشابة، رافضة بعناد التراجع عن قرارها على الرغم من العتاب المبطن في كلام جوليا . كانت تعلم انها ليست وروداً حمراء . . . ورود الحب، وانها لا تعني سوى لفتة ودية من جانب جايك . الا ان اعجبها البالغة تكمن في انه اعطاها شيئاً دون ان يشعر بأنه مرغم على ذلك.

لما اختلت تانيا بنفسها في وقت لاحق من تلك الأمسية، اخذت تلك الورود الخاصة التي لامستها اصابع جايك ووضعتها على وسادتها . وشعرت ان تلك الخطوة الغزلية البسيطة لم تكن الا اعترافاً صريحاً بحبها لزوجها . كانت تحارب هذا الحب وتحاول الحيلولة دون قيامه، لأنها تعلم انه سيلحق بها في نهاية الأمر آلاماً لن تتمكن من احتمالها . شعرت بشيء من العزاء عندما اقنعت نفسها بأن الحب لن يكون حباً بالفعل، ما لم تمنحه لجايك ويبادلها هو اياه . وصممت على الا يعرف ابداً انها تجد فيه اكثر بكثير من مجرد الجاذبية والاثارة.

خرجت الى الحديقة وهي تحاول خداع نفسها بانها لا تريد رؤيته الآن الا لتشكره ثانية على احضاره الورود الجميلة . ولكنها وجدت والده عوضاً عنه، فسألها باسماً:

- هل تبحثين عن جايك؟ انه في غرفة المكتب يطلع على بعض الخطوط العريضة والمواصفات الأولية لمشروع جديد . واعتقد انه لن يتضايق ابداً من جراء ذهابك اليه.

اضحكتها توقعات جاي دي الصحيحة، فقالت له كاذبة:

ـ لا، لم اكن ابحث عنه. ذهب جون الى النوم وشعرت انا برغبة لتنشق القليل من الهواء المنعش قبل ان افعل نفس الشيء.
ـ فكرة لا بأس بها. اجلسي. انها ليلة هادئة وساكنة.
جلسا بصمت بضع لحظات كادت تانيا ان تنسى خلالها وجود شخص اخر قربها. ثم سمعته يسألها بهدوء:
ـ يبدو ان العلاقة بينكما تتحسن باستمرار، اليس كذلك؟
لم تعلق بشيء، على ذلك السؤال الذي لم ينتظر موجهه رداً عليه، فعاد يسألها:
ـ هل زالت كراهيتك لابني يا تانيا؟
ردت عليه ايجابا بكلمة واحدة، وتطلعت الى جهة اخرى آملة في انهاء محادثة لم تبدأ بعد.
ـ اعتقد انك عندما اتيت الى هنا كنت تذكرين نفسك كلما تنفست بانك مضطرة لكرهه طالما حييت. ولكن، بالطبع، حرمك الزمن من تلك المتعة التي كنت تتوقعينها من جراء انتقامك من رجل طوال حياته بسبب خطأ جسيم ومؤسف.
ـ ربما كان ذلك صحيحاً، او ربما ان الزمن يضع الأمور في اطرها الحقيقية. لا يمكن للانسان ان يلوم شخصاً طيلة عمره بسبب غلطة اليمة واحدة.
ابتسم الرجل بارتياح وقال:
ـ انا سعيد جداً بكلامك هذا يا تانيا. وآمل باخلاص ان تمنح لكما الفرصة لجعل زواجكما يسير في الوجهة الصالحة.
خيمت مسحة حزينة على وجهها وقالت:
ـ لا اعول كثيراً على هذه المحاولات، يا جاي دي. فزواجنا لم يكن مبنياً على الحب.
ـ الحب يا عزيزتي كشجرة الأرز التي يمكنها ان تنمو في اصعب الأماكن. . . الأماكن التي يبدو ان ليس فيها امل لبقاء والنمو. والحب الذي يشبه هذه الشجرة الرائعة، والقادرة على تخطي جميع

الصعوبات والعراقيل، هو اثمن وافضل من اي حب آخر.
ردت عليه بصوت متعب متألم:
ـ لا. . . ارجوك! اعرف انك تحاول التأكيد لي بان شيئاً عظيماً يمكن حدوثه بعد سبع سنوات. ولكن، لا تحاول ان تبني آمالاً كبيرة على ذلك.
ثم اضافت بعينين دامعتين:
ـ حب كهذا اشبه ما يكون بالاعجوبة، ولا اتصور ان مثل هذه الاعاجيب ستحدث هذا العام.
ـ لم اقصد مضايقتك يا صغيرتي.
قامت تانيا من كرسيها وعرجت الى البيت. رفضت ان تدع حلمه المستحيل يسيطر على قلبها وفؤادها. كانت تعلم حقيقة انه ليس لهذه المحاولات اي امل بالنجاح.

٧ ـ المحطة التالية

كان الصبيان الصغيران يلعبان ويمرحان... ويصرخان. واخيراً، وضع جايك اصبعيه في فمه واطلق صفيراً مفزعاً أحدث صمتاً فورياً... وحمل تانيا على الابتسام.

ـ سنذهب أولاً الى ذلك المكان الرائع الذي يسمى فندق العجوز.

اعترض جون قائلاً:

ـ ولكني اريد الذهاب اولاً الى منطقة أرض النار!

أيده في ذلك زميله في المدرسة داني جيلبرت، قائلاً:

ـ وأنا ايضاً.

ـ فندق العجوز اولاً، ثم الى أرض النار.

قالها جايك بلهجة حازمة لا تقبل الاعتراض او حتى المناقشة، فانصاع الصبيان الصغيران صاغرين وسارا نحو المخزن العام. وضع جايك يده على مرفق تانيا وقال ممازحاً:

ـ يا لهذين القردين الجميلين!

ضحكت تانيا وردت بمرح مماثل:

ـ كنت أتوقع ذلك عندما اقترحت على جون احضار أحد اصدقائه الى مدينة رعاة البقر... مدينة الدولار الفضي.

زادت ابتسامتها من حلاوة احمرار وجنتيها، ولم يكن ذلك بسبب حرارة شمس الصيف ولا لأنها كانت تبدو جذابة جداً تتبعها عيون المعجبين كيفما سارت. كانت مرتاحة للتودد الدافىء الصادق الذي يصدر بعفوية وحنان ظاهرين من الرجل الذي يسير قربها، وللعلاقة الطيبة النامية بينهما منذ انتهاء مدرسة جون وخروج العائلة في نزهات ورحلات متعددة.

أعطى الصغيران تذكرتيهما الى الشخص المسؤول ودخلا احد مراكز التسلية في مدينة الملاهي الشعبية. ابتسم جايك وقال لزوجته:

ـ هذا الصبي داني من الذين يطرحون اسئلة عديدة ومحرجة. شعرت اثناء حضورنا الى هنا بأنه يستجوبني كمحقق عدلي.

ـ هذا ما كان يقوم به فعلاً. داني جيلبرت هو الصبي الذي أعرب لجون عن شكوكه بأن لديه والداً في افريقيا، او ان ليس لديه والد على الاطلاق. ولهذا السبب بالذات، راح داني يسألك بحماس منقطع النظير عن الأسود والفهود.

ـ ولا تنسى الفيلة.

ـ وكذلك الزرافات. أعتقد انك خذلت جون كثيراً عندما اخبرت داني ان معظم هذه الحيوانات موجودة ضمن حدود معينة لا يمكنها تجاوزها.

ـ كان عليك تحذيري، مسبقاً بأن داني هو المحرض الأساسي على

كتابة تلك الرسالة التي أعادتني الى الوطن. كنت اخترعت له قصة طويلة عن رحلة صيد شجاعة في الأدغال والبراري.

- أعتقد ان جون مرتاح جداً لمجرد عودتك الى البيت.

نظر اليها بتمعن وسألها بهدوء ملحوظ:

- وماذا بالنسبة لك يا تانيا؟ هل أنت سعيدة أيضاً بعودتي؟

رفضت الرد على سؤاله بجدية، وقالت له ممازحة:

- ثمة أوقات يكون فيها وجودك مجدياً ونافعاً، فلنقل مثلاً مرب ممتاز لجون.

لم يحاول دفعها الى التصريح بأكثر من ذلك، لذا ابتسم وقال:

- جميل ان يكون الانسان نافعاً في بعض فترات حياته. ها هما يعودان!

خرج جون وداني من الباب بحماس ومرح شديدين [illegible] شيء سوى فقدانهما لذلك الذي قبل قليل. وسأل جون [illegible]

[illegible]

- [illegible] صديقتنا النائمة؟

[illegible]

وبعد ربع ساعة كان الأربعة يخرجون من ذلك المكان وهم يأكلون بسرور حلوياتهم المجففة. وسأل داني والدي صديقه لما كان بامكانهم جميعاً الذهاب الى تلك البقعة التي تمثل قرية للهنود الحمر. وعندها هز جايك رأسه موافقاً، أمسك داني بذراع جون وقال:

- هيا بنا، لنذهب الى الجسر المعلق.

سار جايك وتانيا وراءهما بتمهل وهما يتأملان ما يجري حولهما من ترفيه وتسلية ومرح، وشاهدا فتاتين مراهقتين تسيران نحوهما بسرعة وهما تضحكان وتتسامران، دون ان تنظرا امامهما. كادت احدى الفتاتين ان تصطدم بجايك لو لم يضع يديه امامه ويوقفها. رفعت

رأسها نحو وجهه بدهشة واحمرت وجنتاها بسرعة فائقة قبل ان تقول له متلعثمة:

- اعذرني! أنا آسفة!

ترك كتفيها وضمزها بمرح وهو يقول لها ممازحاً:

- كان ذلك من دواعي سروري، يا آنسة.

لاحظت تانيا من نظرات الذهول التي رأتها تهيمن على وجه الفتاة، ان جاذبية جايك وسحره سجلا انتصاراً جديداً. سمعت الفتاتين تتأوهان باعجاب ظاهر وهما تبتعدان عنهما، وشاركتها غمساً كلمات الاطراء التي تبادلتاها عن جايك.

- ولماذا هذه الابتسامة الخبيثة، يا عزيزتي؟

ارادت ان تغيظه قليلاً، فقالت بلهجة ساخرة بعض الشيء:

- أوه، ظنت هاتان الصبيتان انك وسيم جداً.

- وهل توافقينهما على رأيهما هذا؟

تظاهرت تانيا [illegible] وراقها [illegible] فقالت بتمهل [illegible]

- [illegible] أعتقد انك ستنظرين الى هذا [illegible] يحرمك من الوسامة الحقيقية.

سمعت ضحكة خفيفة وراءها فيما كان يطوق خصرها بذراعيه ويقول مداعباً:

- تانيا لاسيتر، انت تغازلينني الآن.

انطلقت من موضع يديه موجات حرارية قوية عمت كافة أنحاء جسمها ولكنها أمسكت بذراعيه في محاولة لابعادهما عنها، وقالت لاهثة:

- لا، لم أكن.

اجابها برقة وهو يحدق بشفتيها:

- لا بل كنت، وسوف تتحملين مسؤولية هذه المضاعفات.

ـ جايك، الناس يراقبوننا.

نظرت حولها بسرعة فلم تشاهد اي شخص قربها، ولكنها مضت الى القول:

ـ كذلك . . . كذلك فانا لا ارى جون وداني.

وضع اصبعه على خدها الوردي وقال لها بهدوء:

ـ اذا كان الولدان السبب الوحيد لممانعتك، فسأنتظر وقتاً يكون مناسباً اكثر من الآن.

لحقا بالولدين الصغيرين فيما كانا يراقبان نجاراً ماهراً يحفر أشكالاً خشبية جذابة. وشاهدا امام الباب تمثالاً خشبياً لأحد الجنود الحمر يقف بشموخ وعنفوان وهو يضع ذراعيه على صدره. سأل جايك ابنه بهدوء:

ـ هل تحب ان تراه يحرس حديقة البيت؟

ـ اعتقد انها فكرة رائعة، ولكني اتصور ان جدتي لن توافق على ذلك.

وضع جايك يده بحنان على رأس الصبي، وقال له ضاحكاً:

ـ أظن انك على حق يا حبيبي.

ثم نظر الى تانيا وقال:

ـ اني أحسد هذا الجندي.

ولما اتسعت استغرابا وسألته عن سبب ذلك، قال:

ـ ليس لدي قلب خشبي مثله.

تسارعت دقات قلبها عندما سمعت تلك الكلمات المختارة بدقة وعناية، والتي صدرت عنه بنعومة وروية. انه يغازلها كما كانت تغازله قبل قليل. وكان من حسن حظها ان الصبيين كانا هناك، فحولت انتباهها اليهما . . . بعيدا عن ذلك البريق المزعج في عينيه. سألتهما وهي تعرف مسبقاً انها ستحظى برد ايجابي فوري:

ـ هل تريدان الآن زيارة المتحف؟

ونظرت الى جايك بابتسامة وقالت:

ـ كنت سأقترح معمل الزجاجيات والخزفيات ولكنني اخشى ان يتصرفا كثورين هائجين يحطمان كل شيء حولهما.

سألها جون وهو ينظر بأمل نحو والده:

ـ هل ستأتيان معنا هذه المرة؟

كانت تانيا على وشك الموافقة، عندما وضع جايك يده فجأة على كتفها وقال:

ـ لا، اذهب أنت وداني بمفردكما.

بعد دقائق معدودة، كانت تانيا ترقب الولدين وهما يدخلان النفق. كان جايك يقف وراءها مباشرة، والحرارة المنبعثة من جسمه أقوى من حرارة الشمس. وسمعته يسألها بايجاز:

ـ هل لديك أب؟

ـ هل لدي ماذا؟

ـ هل لديك قلب خشبي؟

ضحكت تانيا في محاولة لاظهار سؤاله كأنه نكتة طريفة، وقالت:

ـ طبعاً لا.

ـ لو افترضنا انني اصبحت احبك، فماذا ستفعلين؟

اتسعت عيناها ذهولاً وخوفاً، فقال لها على الفور بلهجة ساخرة:

ـ لا تخافي، يا عزيزتي. لم اتحدث عن الحب الا افتراضاً.

استدارت عنه بسرعة وهي تبحث حائرة عن سبيل للتهرب من حديثه، ثم تمتمت قائلة:

ـ لم يخطر هذا الموضوع ببالي ابداً، وعليه فانني لا ادري ماذا سأفعل.

ـ لماذا لا يمكنك افتراض ذلك؟ انت امرأة جميلة وجذابة، وعلاقتنا تسير على ما يرام منذ شهرين. اصبحت متأكدا الآن من انك لم تعتازا، ومن ان لديك نظرة جدية بالنسبة للأمور التي اعجب بها واحترمها. وخلاصة القول ان لديك معظم الصفات التي أريدها

في الزوجة. وانما اتحدث هنا عن زوجة حقيقية.

احست بأن رجليها تغدوان صخرية بالغة في ثقلها، ولكنها مازحته قائلة:

- ها قد عدت لمغازلتي مرة ثانية.

- ربما. ولكن ما قلته لك هو الحقيقة بعينها. عدت الى الوطن والى البيت، واريد ان أبقى. تعجبني كثيراً فكرة وجود بيت وحياة وعائلة، وزوجة جميلة تعد لي الطعام وتحضر لي أوراقي وبنطالي. عندما انظر الى جون، أتصور بجدية انه سيفرح كثيراً بوجود شقيق... او ربما أخت صغيرة ذات عينين جميلتين وشعر أشقر جذاب.

- لا... لا تتحدث هكذا!

حاولت ان تبتعد عنه لالتقاط انفاسها، ولكنه امسك بكتفيها والصقها بصدره. ثم سألها هامساً:

- لم لا؟ هل ما زلت تجدين صعوبة بالغة في مبادلتي الحب، حتى بعد هذه العلاقة الجميلة الرائعة التي قامت بيننا طوال الاسابيع الماضية؟

- لا... أعني... نعم...

شلت مداعبته لأذنها وعنقها جميع قدراتها على التفكير بروية وسكينة.

- اعطني جواباً واحداً. نعم أم لا؟

أحست بحاجة ماسة للابتعاد عنه قليلاً، وقالت له بصوت مختنق:

- أرجوك يا جايك. لا أقدر ان افكر بطريقة صحيحة وسليمة عندما تداعبني على هذا النحو.

- هذه خطوة في الاتجاه الصحيح.

- انها لا تعني شيئاً. كل انسان يتجاوب مع المداعبة والمغازلة.

أحست بفراغ هائل يعصر قلبها عندما لم تعد تشعر بلمساته

ومداعباته، الا انها استجمعت قواها ومضت الى القول بهدوء مصطنع:

- انك تعجبني. أعتقد انك والد جيد، وكذلك رجل وسيم وجذاب. ولكنني لا اظن انني على استعداد لتعقيد حياتي بوجودي في حياتك.

- كيف يكون وجودك في حياتي سبباً في تعقيد حياتك؟ من المؤكد ان هذا الامر سوف يجعل حياتك طبيعية وخالية من التعقيد، بما انك فعلاً متزوجة مني.

وجدت تانيا نفسها في فخ من صنع يديها، فاحتجت بالقول:

- انك لا تفهم الوضع.

- أحاول ذلك قدر استطاعتي. ربما كان عليك ايضاحه بصورة أفضل.

- لا... لا اظن ذلك.

تحولت نظرات الاستغراب في عينيه الى حدة وانقباض، وسألها باستياء:

- لم لا؟

- لأنني ببساطة، لا اريد ذلك. ليس الآن، على أي حال.

- أنا لا ألعب معك يا تانيا. اني احدثك بجدية بالغة عندما اقول لك اني اريد انجاح زواجنا. لم يكن الأمر سهلاً، ولكننا تمكنا في الآونة الأخيرة من تناسي الماضي الأليم. لا تحاولي التمسك بمرارة الماضي القديمة، لأن ذلك لن يؤدي الا الى إلحاق المرارة بالمستقبل وإفساده.

تنهدت بحزن وقالت:

- أعرف ذلك. ولكن ثمة اشياء معينة لا يمكن للانسان ان ينساها بسهولة، مهما حاول جاهداً.

- يجب ان ننسى يا تانيا. يجب ان ننسى، والا ذهبت جميع محاولاتنا هباء.

ـ أنت قلت بنفسك، يا جايك، ان هذه الأمور تتطلب وقتاً. التمني وحده لن يزيلها!

سألها بصوت ناعم وهو يدير وجهه نحوها:

ـ هل تعتقدين بأن ثمة أملاً في النجاح؟

نظرت الى عينيه شبه المغمضتين، وتمتمت قائلة:

ـ احياناً. احياناً اعتقد ذلك.

ابتسم وقال لها بلهجة توحي بثقة كبيرة:

ـ اني مضطر لحملك على استبدال كلمة احياناً بعبارة أفضل... معظم الأحيان.

ـ اتمنى لو كان بامكانك ذلك يا جايك.

احنت رأسها قليلاً ولكنه امسك بذقنها ورفع وجهها نحوه قائلاً:

ـ كل ما عليك القيام به هو ملاقاتي في منتصف الطريق. انا لم اطلب منك ابداً ان تكوني انت التي تعطي كل شيء وتقوم بكافة الخطوات الضرورية. ولكن الزواج ليس مشروعاً يتقاسمه اثنان بنسبة خمسين في المئة لكل منهما، كما يقول بعض الناس. كي يكون الزواج ناجحاً يجب على كل من صاحبي العلاقة ان يشترك بنسبة مئة في المئة.

ـ ألم تتصور ابداً انك ربما كنت تتطلب الكثير من كلينا؟

ـ ألم تتصوري انت ابداً انك ربما كنت تحتمين من الحياة قبلاً؟ اسمعي! لنأخذ هذا الموضوع بهدوء وروية، ونتوقف عن محاولة دفع الامور بسرعة لا تتحملها.

ابتسمت تانيا وسألته:

ـ هل لديك ثقة عمياء بالمستقبل؟

ـ ألا تعتقدين ان بامكاني ارشادك الى الهدف الصحيح والى شاطىء الأمان؟

شعر بأنها غير راغبة في الاجابة، لأنها سوف تضطر للاعتراف

بشيء ليست مستعدة بعد تماماً للاعتراف به. أمسك بيدها وقال بحنان:

ـ ها قد علا الشابان الصغيران. لنمضي نلحق بهما. أرض النار هي محطتنا التالية.

قاموا بجولة كبيرة شملت أرض النار وبيت الشجرة والبيت العائم، وتوقفوا مرات عديدة للتفرج على كيفية بناء غرفة من جذوع الاشجار، وصنع الشموع. وشاهدوا عدداً كبيراً من الحرفيين الموهوبين وهم يعملون أمام حشد من المتفرجين. تعلموا كيف تصنع الأدوات الفخارية والخزفية، وكيف تحاك الأغطية، وكيف تقطع الأخشاب. ثم أعلن جون لأمه أنه جائع، ووافقه داني على ذلك بسرعة ودون تردد. نظر جايك باسماً الى وجنتي تانيا الموردتين، وقال:

ـ وانا ايضاً جائع، يا أماه.

ردت عليهم بمرح، وهي تحاول اخفاء الخجل الذي بدا على وجهها بسبب جملته:

ـ هيا بنا الى السيارة.

ـ أين سنتناول غداء النزهة يا تانيا؟

ـ على صخرة الاحلام.

ـ الى صخرة الاحلام اذن.

رفع جون رأسه بمجرد الانتهاء من أكله، وقال:

ـ لنصعد الى قمة التلة.

نظر جايك نحو تانيا بتحد مرح، وسألها:

ـ هل أنت مستعدة لذلك، أم انك صعدت اليوم تلالاً بما فيه الكفاية؟

ـ لن ارفض التمتع بهذه المناظر الخلابة مهما كنت متعبة أو مرهقة.

وقف جون وداني صامتين وهما يتأملان ذلك المنظر الفريد. وقالت تانيا بصوت ناعم هادىء:

- انها رائعة، أليس كذلك؟

طوق خصرها بذراعيه وشدها نحوه قليلاً، ثم قال:

- يقول العلماء ان هذه المرتفعات المسماة تلال أوزارك هي اقدم جبال او مرتفعات في هذه القارة. وانه لأمر مثير للدهشة انها لا تزال تبدو غير متأثرة بالحضارة والمدنية على الرغم من هذه السنوات الطويلة.

- أبي، كم عمر هذا الممر الذي يقولون ان احداً لا يعرف قدمه؟

- أجبت سؤالك بنفسك، لأن احداً في الحقيقة لا يعرف كم عمره.

- لماذا لا يعرفون؟

- عندما أتى المستوطنون الأوائل في القرن التاسع عشر، كان الممر موجوداً ويربط بين منطقة ماليبور وديوبي بولد ثم ينطلق من هذه الأخيرة مئات الكيلومترات الى العالم الخارجي. قال هؤلاء المستوطنون ان الصيادين وتجار الفرو استخدموه قبلهم. وقال الصيادون ان المستكشفين الفرنسيين والاسبان تنقلوا عليه، وكان يرشدهم عدد من الهنود الذين استخدموه قبل المستكشفين. وقال الهنود ان الممر كان هناك قبلهم. ولذلك، كما ترى، أطلقت عليه تلك التسمية الصحيحة... الممر الذي لا يعرف أحد عمره.

هز جون رأسه وعاد يتأمل باعجاب بالغ ذلك المنظر الساحر. وسمعت ثانيا صوت زوجها يكلمها هامساً:

- انه صبي ذكي.

- ولكنه جدي كثيرا في بعض الاحيان.

- انه يبدو لي الآن صبيا طبيعيا سليم العقل والجسم. انك تقلقين كثيراً بشأنه، يا حبيبتي.

قاومت رغبتها في الالتصاق به ومطالبته بعدم التوقف عن مداعبة شعرها وعنقها، وقالت له بهدوء مصطنع:

- أتصور ان ذلك صحيح. ولكن سبب هذا القلق هو نتيجة

اضطراري لأكون الأم والأب في نفس الوقت.

ضغط عليها بذراعه القوية وقال:

- لم تعد ثمة حاجة لذلك بعد الآن.

نظرت اليه بارتياح ووجهت له ابتسامة سعيدة وهي تقول:

- اعرف ذلك.

- سيأتي يوم أقبل فيه الدعوة الصريحة من شفتيك، بغض النظر عما اذا كنا على انفراد ام لا.

أدارت وجهها عنه لتخفي احمراره الفاضح، وأشارت الى شجرة قائلة:

- انظر، انظر الى تلك الشجرة المثمرة هناك.

- يجب ان نأتي لقطف ثمارها في الخريف القادم، بمجرد حلول اول موجة صقيع.

- اني احب ذلك كثيراً.

- ألا تعتقدين اننا نخطط لمستقبل بعيد نسبياً؟

تراجعت ثانيا الى الوراء بدهشة، ولكنه ضحك ومضى الى القول:

- فات الأوان! ألزمت نفسك فعلاً بمرافقتي لقطف هذه الثمار، ولن أسمح لك بالتراجع. هذا موعد بيننا، أيتها الحبيبة الصغيرة، وأتوقع منك ان تحافظي عليه.

- انك لست منصفاً.

- انه الانصاف بعينه.

- أمي، أمي! هل يمكنني اعطاء داني ساعتي الصغيرة هذه مقابل حصولي على هاري؟ ارجوك، ارجوك!

ابتسمت ثانيا وسألته بهدوء:

- أولاً، من هو هاري؟

أجابها داني قائلاً ان هاري هو حيوانه المدلل. قال له جايك ممازحاً:

ـ ولكنك بالتأكيد لا تريد التخلي عن صديقك الملازم هذا، أليس كذلك؟

ـ قالت لي أمي ان علي التخلص منه بطريقة او بأخرى.

ـ هل يمكنني، يا أمي، الحصول عليه مقابل ساعتي هذه؟

ـ لا اعرف. . .

قاطعها جايك موجهاً سؤاله الى داني:

ـ وما هو هاري بالضبط؟

ـ بالضبط؟ هاري هو صديقي. . . الفأر الأبيض.

صرخت تانيا بدهشة بالغة:

ـ فأر؟

ـ انه لا يؤذي، يا أمي!

رفضت الأم الطلب بإصرار، فعاد الصبي يرجوها ويحاول اقناعها بأنه سيضعه خارج البيت. تدخل جايك ثانية وقال له بحزم الوالد القاطع:

ـ قالت لك أمك لا، يا جون، وهذا يعني لا بصورة نهائية.

وفيما ذهب الولدان بانزعاج وغضب ظاهرين، ارتجف جسم تانيا مرة اخرى وقالت انها تكاد تشعر بذلك الفأر اللعين يزحف الى سريرها او يقفز بين قدميها. مازحها جايك قائلاً:

ـ مسكينة! هل تخافين من فأر صغير ضعيف؟

ـ لا يهمني مدى صغره او ضعفه، ولكنني لا أطيقه. انها لسخافة مني، ولكنها الحقيقة.

ـ يجب ان تكوني مسرورة لأن جون سألنا قبل اقامة عملية المقايضة. فللحقيقي كان سيخسر ساعته، وفأره ايضاً.

ـ اني ممتنة لذلك.

ـ كان بامكانك طبعاً تعييني حارسك الامين ضد الفئران.

ضحكت تانيا لدى سماعها اقتراحه المرح وقالت تمازحه:

ـ هذا أفضل عرض قدمته حتى الآن.

نظر الى جسمها الجميل بتمعن وقال:

ـ لو حظيت بقليل من التشجيع، لقدمت لك عروضاً اخرى افضل.

ـ اعتقد. . . اعتقد ان الوقت حان كي يأخذ داني الى بيته.

ـ انك خبيرة في تجنب المواضيع الحساسة، أليس كذلك؟

وعندما لم ترد على سؤاله الساخر، تنهد وقال:

ـ حسناً، لنذهب. على اي حال، امضينا اليوم اوقاتاً ممتعة للغاية.

أيدت كلامه بصدق واخلاص، قائلة:

ـ كان حقاً يوماً رائعاً.

شعرت تانيا وهي تقول جملتها هذه ان الساعات الطوال التي امضياها معا ذلك اليوم أضافت بعداً ايجابيا جديدا الى العلاقة القائمة بينهما منذ بعض الوقت. وتذكرت كيف انه أصبح في الآونة الاخيرة اكثر اهتماما بها. . . يوجه اليها تحية خاصة بها كلما عاد الى البيت، يمسك يدها بحنان كلما كانت جالسة او واقفة قربه. تذكرت الاشياء الصغيرة التي تخبرها تافهة بحد ذاتها، اذا نظرت الى كل منها على حدة. ولكنها كانت جميلة جداً عندما تنظر اليها ككل. وكادت تانيا تقتنع بأنه يريد ان يحبها لنفسها، وليس لأنها أم ابنه.

أصبح من السهل عليها اكثر فأكثر ان تدير له خدها كي يطبع عليه قبلة المساء، وتحولت هذه الممارسات بعدئذ الى عادة وتقليد يوميين. كان داني لطيفا وحنونا ومسيطراً على مشاعره، ولم يطالبها ابدا بأكثر مما كانت ترغب في منحه. الا ان رفضها له، المبني على الخوف، ازداد بنسبة مماثلة لحبها له. ولكن كيف يمكنها ان تطلعه على حبها له، بعد ان احتفظت بهذا السر طوال هذه المدة؟ لن يتفهم مشاعرها واسبابها، ولن يغفر لها. . .

فتح باب الحديقة ودخلت منه شيلا رايتز بمرح ظاهر.

ـ كيف حالك؟ هل جايك هنا؟

ـ لا، لم يعد بعد الى البيت.
ـ انه لأمر مؤسف حقاً. قال انه سيعود باكراً، وكنت آمل في مقابلته هنا. هل تعلمين ما اذا كان سيتأخر؟
ـ لا، لا اعرف. هل تريدين انتظاره؟
ـ لا، يجب ان اعود سريعاً. كنت اتطلع قدماً الى رؤيته بعد ظهر هذا اليوم.
ـ هل الأمر هام؟ يمكنك ان تتركي له رسالة معي.
ـ حقاً؟ طبعاً يمكنني الاتصال به هاتفياً في وقت لاحق، ولكني لا اريد ازعاجه عندما يمضي بعض الوقت مع ابنه.
وصل الغضب والاشمئزاز بتانيا الى درجة الغليان والانفجار، وقالت بسخرية لاذعة:
ـ انك مخلصة وحنونة للغاية.
ـ لقد حدث مرة تفاهم بالنسبة لموعد اللقاء في النادي البلدي. ابلغيه ان الموعد هو الواحدة بعد ظهر السبت، عوضاً عن الثانية.
ـ حسناً، الواحدة بعد ظهر السبت.
شكرتها شيلا بدلال مثير للاشمئزاز وتظاهرت بالذهاب. الا انها توقفت فجأة وقالت:
ـ كنت أنسى. شاهدت قطعة الأرض التي كان ينوي شراءها. اخبرته بأنها ليست جيدة، لأن الوصول اليها شبه مستحيل. سأطلعه السبت على بقية التفاصيل. ربما ستسنح لنا الفرصة آنذاك لمشاهدة الأرض معاً.
شل الغضب قدرة تانيا على التكلم. لم يقل جايك كلمة واحدة عن قطعة ارض او اخرى. هل كان يخدعها طوال الاشهر الماضية لتهدئة اعصابها، بينما استمر في اقامة علاقة مع شيلا؟ هذا امر محتمل جداً، والا فلماذا هذه الزيارة المفاجئة وهذا الغنج والدلال؟
لا بد ان مشاعر الشك والغيرة ظهرت جلياً على وجهها، لأن عيني

الشابة السمراء شعّتا ارتياحاً وتشفياً. وقالت لها بمرح ظاهر، وهي تلوح بيدها مودعة:
ـ سأقول لتاريك انك تبعثين اليه التحية والسلام.

٨ - الماضي العدو

بعد ذهاب شيلا بأقل من نصف ساعة، سمعت تانيا صوت سيارة في المدخل المؤدي الى البيت. وبما ان شيلا ابلغتها ان جايك سيعمل اليوم في وقت مبكر، فقد تأكد لها ان القادم لا بد ان يكون هو بنفسه. احست برغبة قوية للخروج بسرعة ومواجهته بتلك المعلومات التي حصلت عليها حول علاقته مع شيلا. ولكنها ظلت جالسة في الكرسي وهي تخفي المرارة في عينيها بنظارتين شمسيتين.

مرت لحظات عديدة قبل ان تسمع باب الحديقة الزجاجي يفتح ويغلق. رفعت رأسها فرأت جايك يحمل زجاجتين من العصير البارد، ويتطلع الى ساقيها المكشوفتين حتى حافة السروال القصير. لو شاهدت تلك النظرات الملتهبة في ظروف اخرى، لاحست بانها

مرغوب في نارها. اما الآن فهي تعرف انها نظرات خداع وكذب.

- عصير بارد لعروس الشمس الجميلة.

اخترقت ابتسامته الكسولة خطوط دفاعها وجعلت دقات قلبها تتسارع كالعادة. ولامت تانيا نفسها على استسلامها الكلي لسحر ابتساماته ومداعباته، في حين انه كان يخدعها طوال الوقت. ابتسمت رغماً عنها، وقالت:

- لم اتوقع عودتك في مثل هذا الوقت المبكر.

- توقفت امي في المكتب ظهر اليوم وتناولت الغداء مع ابي. ابلغتني بانها اخذت جون لحضور حفلة ميلاد احد اصدقائه. ووجدت انها فرصة مناسبة جداً كي اختلي بزوجتي. فاقنعت امي بشراء بعض الحاجيات الضرورية وان تحضر ابي الى البيت عندما تذهب لاحضار جون.

وقفت تانيا والغضب يكاد يخنقها، ولكنها حافظت على هدوئها المصطنع وقالت له بلهجة طبيعية جداً:

- اتاني اليوم زائر.

- اوه؟ من؟

- شيلا رايتز!

لاحظت تانيا مسحة استغراب خفيفة على وجهه، ولكنه سألها بصورة عادية:

- ماذا كانت تريد؟

- في الحقيقة، لم تأت شيلا لتزورني انا... بل جاءت لتبحث عنك.

سرت تانيا لانه لم يحاول التظاهر بالدهشة، واحست بسعادة خبيثة عندما شاهدت ذلك العبوس الخفيف في ملامحه. سألها عن سبب حضورها، فقالت:

- تركت لك رسالة شفوية معي. قالت لي ان اطلب منك مقابلتها في الواحدة بدلاً من الثانية بعد ظهر السبت في النادي البلدي.

وقالت ايضاً انها شاهدت قطعة الأرض التي تنوي ابتياعها، وان تلك القطعة ليست جيدة على الاطلاق. واضافت ان بإمكانكما بحث هذا الموضوع بالتفصيل يوم السبت.

اجابها وهو يحاول السيطرة على اعصابه وكبح جماح غضبه:

ـ كنت انوي اطلاعك بعد ظهر اليوم على مسألة هذه الأرض.

ابتسمت بسخرية وقالت:

ـ لم تعد بحاجة لازعاج نفسك لأني اصبحت مطلعة على الوضوع.

ـ انت لا تعرفين الا ما قالته لك شيلا. ويبدو انك تبنيت افكاراً خاطئة من جراء ذلك.

لم تعد تانيا قادرة على ضبط اعصابها، فصرخت قائلة بحدة:

ـ اوه، جنبني الايضاحات والتفسيرات اللاضرورية! انا متأكدة من انك قادر على جعل الأمور تبدو وكأنك لم تقم بأي عمل مشين.

ـ هذا صحيح. لم اقم بأي شيء مما تظنين.

ـ اوه، كم ظهرت مسناء ومثلاً ذلك اليوم الذي شاهدتني فيه مع باتريك! قلت لي انذاك انك لا تتحمل ابداً ان يخدعك احد!

وضحكت بمرارة ثم مضت الى القول، قبل ان يتمكن من التعليق على كلامها:

ـ ابلغني باتريك في ذلك اليوم بالذات انك لا تزال تقابل شيلا، ولكني رفضت اخذ كلامه على محمل الجد. قبلت كلمة الشرف منك بأنك ستحاول جاهداً مثلي لانجاح زواجنا. كان علي ان اتذكر كم هي تافهة ولا قيمة لها تعهداتك ووعودك!

قفز نحوها كنمر متوحش وقال لها بحدة بالغة، وهو يهزها بعنف:

ـ سوف تستمعين الى ما سأقوله لك! افهمين؟

كانت سريعة مثله، فحررت نفسها من يديه وصرخت به قائلة:

ـ لا، لست مستعدة بعد الآن للاستماع الى المزيد من الاكاذيب!

ـ انك تفعلين معي ما فعلته انا معك سابقاً. تتهمينني وتدينني قبل ان تفسحي لي اي مجال حتى لتوضيح ما جرى. من المؤكد ان لي الحق بقليل من ثقتك!

جلب الخجل المرير دموع الحزن الى عينيها الجميلتين، وقالت بأسى:

ـ كم ابدو سهلة وغبية امامك! كم من مرة صدقتك فيها؟ وكنت تجعلني في كل مرة ابدو اكثر غباء من السابق. تتوقع مني الآن ان اصدقك ثانية عندما تخترع قصة بريئة من نوع ما لنفي وجود علاقة حميمة مع شيلا... مع انها هي اوضحت عكس ذلك دون حياء او خجل.

فتح جايك فمه كي يرد عليها، ولكنها رفعت يدها لتمنعه من ذلك واضافت:

ـ لا، لا تقل شيئاً. انت لم تقل لي ابداً انك سوف تتخلى عن شيلا. لقد تجنبت في الحقيقة الاجابة على السؤال الرئيسي الذي وجهته لك بشأن هذا الموضوع. وعليه، فان الأمر لم يكن الا مجرد كذبة بيضاء. من المحتمل اني خدعت نفسي. لم يعد يهم الآن، بعد ان عرفت الحقيقة.

رد عليها بصوت غاضب:

ـ ولكنك لا تعرفين الحقيقة! ترفضين الاصغاء لحظة لمعرفة الحقيقة!

رن جرس الهاتف داخل البيت، فتعمد جايك تجاهل امره. ولكنها قالت له ببرودة مؤلمة:

ـ المخابرة لك. قالت لي شيلا انها قد تتصل بك في وقت لاحق.

احست تانيا بعد ذهابه ان غضبها بدأ يخف تدريجاً. شعرت بانها ترغب في البكاء كي تساعدها الدموع على التخفيف من الآلام التي تعصر فؤادها. وفجأة، سمعت جايك يناديها من الداخل:

ـ تانيا، تعالي الى هنا.

لم ترد عليه ولم تعره اي اهتمام على الاطلاق، فصرخ بها:

- تعالي فوراً والا اتيت وجررتك بنفسي!

احست بأنه يعني ما يقول. فمشت نحوه بتمهل مرهق للاعصاب. امسك بذراعها بقوة وجذبها بعنف نحو الهاتف الذي كانت سماعته لا تزال معلقة بجانبه. رفع جايك السماعة وقال:

- ابي، كرر ما قلته لي قبل لحظات.

ثم وضع السماعة بسرعة على اذن تانيا فسمعت جاي دي يقول باستغراب:

- اكرر ما قلته؟ كل ما قلته لك ان موعد الاجتماع المخصص لمدراء الشركة ومهندسي المناطق تغير من الثانية بعد ظهر السبت الى الأولى منه. انه لقاء غير رسمي والزوجات مدعوات لحضوره، وعليه فاني اذكرك به كيلا تنسى ابلاغ تانيا بالأمر. من المؤكد انها تريد ايجاد شخص يبقى مع جون اثناء غيابها عن البيت. هل من الصعب عليك تذكر هذه المعلومات القليلة العادية؟

تنهدت تانيا بحزن عندما شعرت بمدى الخطأ الفادح الذي ارتكبته بحق جايك، واعطته السماعة بهدوء وحياء.

- شكراً يا ابي.

ولكن جاي دي عاد الى الكلام وبصوت كانت تانيا تسمعه بوضوح:

- انتظر لحظة... ذكرتني انك قلت ان شيلا تركت على مكتبي لائحة بقطع ارض معدة للبيع. لن احضر الى الشركة غداً، وعليه فلا تنسى ان تأخذ هذه اللائحة من سكرتيرتي.

ثم اضاف ضاحكاً:

- لم اكن لاصدق ابداً ان بامكان شيلا الحصول على رخصة قانونية للقيام بصفقات عقارية. ولكني اعتقد انها ستنجح في هذا الحقل، لأنها قوية وجميلة في وقت واحد.

احست تانيا هذه المرة بالصدمة والألم وهي تنظر الى وجه جايك الحزين. كانت عيناه لا تزالان تشعان ببريق غاضب ونظرات فولاذية

قاسية. كان يتحدث مع والده، ولكن شعورها منعها من سماع كلامه:

- اني آسفة يا جايك. آسفة جداً.

قالت كلماتها هذه هامسة قبل ان تنظر بخوف وهلع الى الوراء وتركض هاربة متعثرة نحو الحديقة. لم تعد قادرة على مواجهته او النظر اليه بعد احكامها المجحفة بحقه. لا يمكن لاعتذارها المرتبك ان يعوض عن تلك الكلمات القاسية التي قالتها له، والاتهامات الكاذبة التي وجهتها اليه. هرعت نحو البحيرة وهي تقول لنفسها انه كان عليها الاستماع لايضاحات جايك قبل اصدار احكامها المبرمة.

انهمرت الدموع غزيرة من عينيها، فلم تعد قادرة على رؤية الاشياء بوضوح. تعثرت ووقعت، وراحت تبكي بحزن ومرارة حتى جفت الدموع من عينيها. شعرت بأنها طفلة ضائعة هربت من البيت ولم تعد تريد سوى معرفة طريق العودة اليه.

حطت ذبابة على ذراعها ثم ذهبت. ولكنها عادت ثانية، فتحركت لابعادها عنها. احست بشيء يلامس ساقها. نظرت بسرعة فشاهدت عقرباً كبيراً يزحف متثاقلاً على رجلها. تسمرت في مكانها هلعاً وراحت تصرخ بصوت عال. لم تلاحظ انها تردد اسم جايك. ولم تسمع وقع قدميه وهو يركض نحوها. ابعد العقرب عن ساقها بسرعة وداسه بقدمه، ثم حملها بين ذراعيه وشدها الى صدره وهو يقول:

- لا تخافي. كل شيء على ما يرام.

- جايك، جايك.

- انا هنا. اهدأي الآن، لن يحدث لك شيء. قتلت العقرب. لا تخافي.

طوقت خصره بقوة، فيما كان يربت على كتفيها بحنان بالغ ويسألها:

- هل انت بخير الآن؟

هزت رأسها للتصق بصدره مطمئناً مرتاحاً، وقالت:
ـ اعرف ان من السخافة بمكان ان اخاف الى هذه الدرجة، ولكني لا استطيع التحكم باعصابي. ضمني اليك لفترة اطول يا جايك. ارجوك.
ـ الى الأبد، اذا كنت ترغبين ذلك.
مرت دقائق عديدة قبل ان تسحب ثانياً يديها بتردد من حول خصره. كانت تشعر بان رجليها لا تزالان ضعيفتين وغير ثابتتين. ولكن قسماً من صدمتها زال تدريجياً. فشعرت بالكيفية التي كانت تطوقه فيها. تمتمت بصوت خافت:
ـ اظن انني اصبحت الآن على ما يرام.
اوقفها على قدميها بهدوء وحنان ثم داعب وجنتيها برقة وهو يسألها:
ـ هل تغفرت لي؟
ـ ماذا. . . ماذا؟
ـ لأني انتهكت [illegible] ضد [illegible] البيض فقط، و[illegible]
[illegible] الشعور المؤلم [illegible]
[illegible] بشكل [illegible]
ـ طبعاً. ولكني اعتقدت انك تتحدث عن شيلا.
وضع اصبعه على شفتها السفلى مداعباً وقال:
ـ لن نتحدث عنها الآن. انت لست في وضع يسمح لها بالدخول في المناقشة التي اريد بحثها معك.
ـ اريدك ان تعلم الآن اني ادرك تماماً مدى الخطأ الفادح الذي ارتكبته عندما لم اسمح لك بتوضيح موقفك.
ـ قلت لنا سنبحث هذا الموضوع لاحقاً.
كانت كطفلة تريد التأكد من انه سامحها على غلطتها، فقالت:
ـ اعرف. ولكني اردت ان اقول لك اني متضايقة جداً من تصرفي معك.

ابتسم وضمها الى صدره بحنان متمتماً:
ـ انت عنيدة جداً.
ضمها اليه بلطف ورقة. ولكنها عندما طوقت عنقه اوقف ذراعيها بيديه ورفع رأسه عنها بهدوء قائلاً:
ـ اني اقبل اعتذارك. والآن. . . هل ترغبين السير الى البيت او ان احملك اليه؟
اجابته بانفاس متقطعة، وهي تشعر بانها لو قبلت ان يحملها فلسوف تغازله دونما حياء او خجل:
ـ لا، افضل ان اذهب سيراً.
سألها ممازحاً:
ـ هل اصبحت تشعرين بخطر عندما احملك بين ذراعي؟
ضحك عندما لم تجب، وسارا الى البيت بهدوء فيما كان يمسك بذراعها وراء ظهره ويطوق كتفيها بذراعه. ولما اوصلها الى غرفتها، قال لها:
ـ [illegible] الآن والمسي نفسك بحمام [illegible] سوف نتحدث في الموضوع بعد خروجك.
ـ أي موضوع؟
لم يجبها، بل دفعها الى الداخل بحنان واغلق الباب وراءها. هل سيحدثها عن شيلا؟ كانت متعبة جداً بحيث انها لم تكن قادرة على التفكير بشكل صحيح. خلعت ثيابها ودخلت الحمام. وما ان خرجت وجففت نفسها، حتى سمعت طرقة خفيفة على الباب. ادخلت جسمها في رداء عاجي جميل، وقالت:
ـ ادخل.
تأملها جايك بدقة قبل ان يدخل ويعطيها فنجاناً من القهوة، قائلاً:
ـ تبدين الآن احسن بكثير. لم تعد في عينيك اي اثر للخوف او الهلع.

لم تتمكن تانيا من اخفاء ذلك البريق الساطع الذي غمر عينيها وهي تنظر الى وجهه الجميل الجذاب، فأدارت وجهها عنه وقالت:

- من المؤكد اني تصرفت كانسانة غبية جداً، ولكن خوفي من العقارب لا يضاهى.

سمعت حفيف اوراق قرب سريرها، فأدارت وجهها ثانية نحوه وشاهدت لفة من الورق الأزرق يحملها تحت ابطه. وسألته بفضول عن هذه الأوراق التي كان يفتحها امامها على السرير.

- تعالي وانظري.

وقف بهدوء قربها عندما كانت تحقق بمحتويات تلك الورقة. ثم قالت:

- انها مخطوط عريضة لمنزل جميل.

- لا ليس لمنزل. انها لبيتنا، يا عزيزتي. وبما ان شيلا اصرت على ابلاغك بأني راغب في شراء بعض الأراضي، فقد قررت اطلاعك على بقية التفاصيل.

تنهدت تانيا بقوة وسألته:

- ماذا تعني . . . بيتنا؟

- الم تتعبي بعد من السكن مع امي وابي؟ هذا لا يعني انني لا احبهما كثيراً ولكن، الا تحبين ان يكون لك بيت خاص بك؟

شعرت بما توحيه كلماته، فقالت له مترددة:

- طبعاً، ولكن. . .

- اذن، اعطني رأيك بهذا المخطط الأولي. ربما كانت هناك اشياء تريدين تغييرها.

لم يترك لها جايك مجالاً للتعليق الفوري، لأنه بدأ يشير باصبعه الى موقع غرفة النوم وقاعة الجلوس والمطبخ و. . .

- هل يعجبك؟

- انه جميل جداً. ولكن. . .

توقفت عن الكلام جملتها وهزت رأسها لتمنعه من الانحناء اليها

وهذه السعادة الفائقة لحصولها على بيت احلامها. رفع رأسها نحوه ليتمكن من النظر الى ملامح القلق في عينيها، وسألها بحنان ظاهر:

- ما بك يا حبيبتي؟ الا تعتقدين انه حان لنا التمتع ببعض الحرية في حياتنا الزوجية؟

توترت اعصابها فجأة وخافت من الكلام بقدر ما خافت من الصمت. حدقت بملامحه الجميلة وهي تعلم علم اليقين مقدار حبها له. وتمتمت عاجزة:

- اوه، جايك، جايك!

ضمها الى صدره وفي عينيه نظرات مشتعلة، شعرت في اذنها نعومة واغراء، ثم اشعل ناراً في روحها امتدت بسرعة الى ارجاء كيانها. ثم قال لها بصوت دافيء:

- اوه، كم تمنيت القيام بذلك منذ زمن طويل!

عصفت بها المشاعر المتلاحقة فاطلقت صرخة معذبة واخذت تبادله الغزل وترددت اسمه بهيام. الا ان تلك السعادة الفائقة تخطت المشاعر العادية لتجمع بين روحيهما وفؤاديهما، وتجعل منهما انساناً واحداً. ابتعد جايك بتردد وعذاب وقال:

- لا يمكنك ان تعرفي مدى السيطرة المؤلمة التي مارستها على نفسي لفترة طويلة، كيلا افعل ما فعلت الآن.

حول جايك نظره عنها ثم اخذ يتأمل عينيها بحثاً عن جواب لسؤال لم يوجهه. كان في وضع يمكنه من امتلاكها دون مقاومة او احتجاج او معارضة. ولكنه ما ان منحها فرصة الاختيار، حتى دب الخوف والهلع في قلبها. تألمت وحرقت الدموع المرة عينيها. كانت تشعر بذراعيه القويتين تطوقان خصرها. وسرها ان يكون ظهرها اليه حتى لا يرى الأسى والحزن والألم في عينيها. همس في اذنها بصوت خجول ناعم:

- لا تخافي، يا حبيبتي. انا لا اشعر نحوك برغبة فقط. . . مع انني اريد ذلك من صميم قلبي.

- اوه، جايك!

قالت اسمه بصوت اشبه بصرخة متألمة تنطلق بألم من قلبها. انها لا تخاف الحب، ولكنها تخاف غضبه. تململت قليلاً بين ذراعيه فشدها قليلاً وتمتم قائلاً:

- هذا يكفي، ايتها الحبيبة الغالية. نحن بحاجة للكلام لمحو ما تبقى من مرارة بيننا.

- جايك، انا. . .

- لا تتكلمي، بل اسمعي. انا احبك. ربما كنت احبك دائماً، لا اعلم. كل ما اعرفه انني الآن احبك، وباكثر بكثير مما كنت اتصور ان بامكان الانسان التوصل اليه.

تنهدت بطريقة كشفت مدى هيامها به. كانت تعرف انها تحبه بقدر ما هو يحبها. تمنت وهي تستند اليه بوهن ان تظل بين ذراعيه الى الابد، ولكنها توسلت اليه قائلة:

- لا تقل اي شيء آخر، يا جايك. ارجوك.

مرت عليهما لحظة تردد ثقيلة شعرت تانيا خلالها بان جايك يريد تحويل الاقوال الى افعال. ثم سمعته يقول بصوت اجش:

- دعيني انهي كلامي يا حبيبتي، لانني لن اتحدث عن الماضي مرة اخرى بعد هذه اللحظة. انا لم اعد الى البيت بسبب رسالتك فقط. استعملتها كعذر او مبرر. كان جون عاملاً هاماً في اتخاذي قرار العودة، لانني اردت مشاهدته. ولكن رغبتي في رؤية زوجتي كانت اقوى واشد. اردت مشاهدة تلك المرأة الجميلة التي كانت تقف قرب العشب. اردت رؤيتك انت يا تانيا، لان صورتك ظلت تلاحقني سبع سنوات بكاملها وفي شعرها وعينيها اشعة الشمس الذهبية.

كان قلبها يغني بسعادة والم. اليس من الممكن ان حبهما قوي بما فيه الكفاية لتجاوز عداء الماضي واحقاده، وتتمكن من تفهم اسباب خداعها له طوال هذه السنوات؟ سمعته يتابع كلامه بلهجة حزينة ادمت قلبها:

- يجب عليك اولاً ان تفهمي ان وشقيقي كنا متقاربين جداً. كنا اكثر من مجرد شقيقين. لا اذكر انني وعدتك بالعودة بعد تلك الليلة، ولكنني كنت انوي ذلك. . . حتى قتل جابي. كان لا يزال شاباً صغيراً، يا تانيا، يضج حياة وشباباً. اصبحت انساناً قاسياً لا يشعر الا بالحقد والمرارة. غطت تلك المشاعر السوداء ذكرياتي الحلوة عن تلك الفتاة الخجولة الرائعة التي التقيتها. وعندما شاهدتك لاول مرة بعد تلك الليلة اليتيمة، وكنت اجمل من السابق، لعنت نفسي لانني لم احاول البحث عنك. . . وبخاصة عندما رأيتك وانت تحملين الطفل على ذراعيك. لم تؤثر بي نظرات الاحتقار الباردة التي رأيتها في عينيك. عرفت انك تريدينني ان اذهب واتركك لوحدك، ولكنني لم اتمكن من ذلك. ولهذا، تظاهرت امامك بانني مهتم بالطفل لتلك الدرجة.

هزها برقة بين يديه وكأنه يحاول تخفيف الآلام التي تعصر قلبيهما، ثم اضاف قائلاً:

- لن انسى ابداً تلك الصدمة العنيفة الاولى التي عصفت بي عندما سألتني ان كنت اعرف من تحملين! قلت لي انه ابني! ظننت في البداية انك تكذبين. . . انك اكتشفت وجود ثروة لا بأس بها لدى عائلة لاستير، واردت تلك الثروة لابنك غير الشرعي! لم اقتنع حتى عندما شاهدت اسمه الصغير المكتوب. . . العلامة المميزة لافراد عائلة لاستير. لم اتأكد من انه ابني حقاً الا بعد ان ذهبت الى تلك الشقة المتواضعة التي كنت تسكنين فيها. حبيبتي حبيبتي! هل يمكنك ان تغفري لي ذلك؟

حاولت ان تنظر اليه ولكن ذراعيه احتجزاها حيث هي، فقالت:

- لا شيء يتطلب المغفرة يا جايك.

- الامر الوحيد الذي ظل مبهماً في زواجنا هو صدقك وامانتك. وكان صدقك احد اول الاشياء التي احببتها فيك، واصبح الاساس القوي لحبي لك.

- اوه، لا، يا جايك. لا، ارجوك.

- لا الومك لانك كرهتني في البداية. انا ارغمتك على الزواج مني. لم اعد متأكداً الآن من انني فعلت ذلك للحصول على ابني ام للحصول عليك كزوجة لي. كل ما اعرفه انني احتقرت نفسي كثيراً نتيجة الاذلال الذي لحق بك وعانيت منه بسببي. كنت تطلعت الي، كنت اتذكر مدى احتقارك لي واشمئزازك مني. انت لم تكوني السبب في رحيلي... خجلي من نفسي كان السبب. انت لم ترتكبي معي اي خطأ. انا الذي يجب ان يتحمل اللوم كله. هلا تلاحظين الآن لماذا كنت مضطراً لاكشف عن مشاعري الدفينة؟ كنت دوماً صادقة جداً معي، فاضطررت لأن اكون صادقاً مثلك.

صادقة! صادقة! لم يعد امامها مجال بعد الآن كي تطلعه على الحقيقة. صدقها المزعوم هو الشيء الوحيد الذي اثار اعجابه. فكيف ستطلعه على سرها دون ان ينهار هذا الصدق الغش... وينهار معه حبه لها؟ بكت وسألته بحدة:

- لماذا؟ لماذا تطلعني على جميع هذه الامور الآن؟ الا تعرف ان ذلك لم يعد يهم؟

- ما بك يا حبيبتي؟

زاد الاهتمام الصادق الحنون في صوته من الألم الذي يعتصر قلبها.

- اوه، جايك، جايك!

اخذت تهز رأسها بعنف حزين. لم يكن امامها سوى سبيل واحد للهرب. سوف يكرهها بسبب الخطوة التي تنوي القيام بها، ولكنه سيكرهها اضعاف ذلك اذا اكتشف الحقيقة. قالت له ببرودة مصطنعة:

- ارجوك، اريد الطلاق.

- الطلاق؟ ماذا تقولين؟ هل هذه نكتة؟

- لا يا جايك، انها ليست نكتة. اريد الطلاق.

امسك بكتفيها وادار وجهها نحوه بقوة، ثم صرخ بها غاضباً:

- قلت ذلك لتري اني احبك! هل تحاولين ان تقولي لي انك لا تبادلينني الحب؟ هل هذا ما تحاولين قوله؟

تفادت نظراته الحادة واجابته بلهجة حازمة واكثر اصراراً:

- قلت لك اني اريد الطلاق. اليس هذا الكلام جواباً كافياً؟

- لا! ليس جواباً كافياً على الاطلاق!

ثم غرز اصابع يديه في اعلى ذراعيها وقال لها بعصبية بالغة:

- انا لست جاهلاً الى درجة لا اعرف معها ان هذه المرأة تريدني ام لا. واعرف انك منذ لحظات معدودة كنت ترغبين في الحصول علي بقدر ما كنت انا ارغب في الحصول عليك. انا اعلم انك تحبينني. اعترفي بذلك!

وضعت يديها على صدره في محاولة لابعاده عنها، وصرخت به:

- توقف، يا جايك، توقف!

وضع يداً على ظهرها وشدها نحوه، ثم امسك بيده الاخرى شعرها ورفع رأسها نحوه قائلاً:

- اريد توضيحاً فورياً.

اخافتها نظراته القاسية ولهجته الغاضبة، فهمست قائلة:

- انك تؤلمني.

رد عليها بصوت قوي ونظرات تشع بلهيب الغضب الساطع:

- انا احبك، وسأجعلك تحبينني!

رفعها بين ذراعيه بقوة رغم محاولاتها اليائسة للتملص منه، فمدت يديها بخوف وهلع لتحمي نفسها. حدق بها بعينين قاسيتين غريبتين، لم يصدر عنهما بريق الاغراء الذي كانت تذوب تحت وطأته. وضع ذراعيها وراء رأسها بحيث تمكن من امساك معصميها بيد واحدة، فيما امسكت الاخرى بوجهها وسمرته امام نظراته الملتهبة. وقال:

- كنت تحترقين قبل لحظات. فما بك الآن، ايتها القطة الشرسة؟

ـ ارجوك، يا جابك. لا تفعل ذلك.

كان صوتها يرتجف كورقة في مهب الريح، وجسمها ينتفض كمن لدغته حية سامة. وعادت تكرر له الرجاء:

ـ لن يغير ذلك شيئاً. سوف اصر على طلب الطلاق. ارجوك، يا جابك، ارجوك!

اجابها ببرودة حقيقية:

ـ انا لا اصدقك، يا تانيا.

تجمعت الدموع في عينيها وقالت له بصوت ضعيف:

ـ لست قوية بما فيه الكفاية، يا جابك، كي اتمكن من مقاومتك وصدك.

حدق بها طويلاً قبل ان يتمتم بقساوة بالغة:

ـ اللعنة عليك!

ابعد وجهه عن نظراتها المتوسلة وهو يهب واقفاً بحدة وعصبية. بكت بحزن وتعاسة وهي تسمع صوت خطاه تبتعد عن سريرها. ثم سمعت باب غرفتها يفتح ويغلق بقوة، فتأكدت لها انه تركها وذهب. دفنت رأسها في وسادتها واخذت تضرب السرير بيديها منتحبة:

ـ اوه، جابك، جابك. اني احبك احبك واريدك من صميم قلبي.

٩ ـ المفاجأة الاخرى

كانت الأبواب تفتح وتغلق بعنف في الايام التالية، لأن جابك كان يرفض البقاء في غرفة واحدة مع تانيا. كان الغضب كغيمة سوداء تلاحقه طوال الوقت، حتى ان جون اصبح يخشى مكالمته خوفاً من التعرض لملاحظات قاسية وحادة. كانت تانيا تسمع صوت خطواته ليلاً وهو يقطع ارض غرفته ذهاباً واياباً.

لم تنم هي ايضاً براحة وهناء. ظهر التعب والارهاق على عينيها نتيجة السهر والقلق. كانت تتمنى لو ان باستطاعتها الذهاب اليه والاعتراف له بحبها. ولكنه لن يفهمها ابدا. عانت كثيرا من تلك الليالي الطويلة التي أمضتها ساهرة، تحدق بسقف غرفتها حزينة ومذهولة.

وتألمت من نظرات جوليا التي

كانت تحملها مسؤولية ذهاب جايك قبل تناول فطوره، وعودته بعد انتهاء العائلة من تناول طعام العشاء. كان جاي دي الشخص الوحيد الذي ينظر اليها بشيء يشبه التعاطف. ومع ذلك، كان يبدو مستاء وجهنيا.

وكان جون المسكين الشخص الذي يتألم اكثر من الآخرين. فهو لم يختبر مثل هذا الجو العدائي من قبل. دعاه دالي جيلبرت لتمضية ليلة معه، فوافقت تانيا بعد تردد. اعترفت لنفسها بأن سبب ترددها يعود الى أنانيتها. انها تريد الصبي معها طوال الوقت كي يحول انتباهها قدر المستطاع عن جايك.

توجهت الى غرفة جون للتأكد من ان لديه كافة الاشياء التي يحتاجها في ضيافة صديقه. ومشت امام غرفة جايك، فتطلعت الى الداخل. تعثرت خطاها وتوقفت. كان جايك يقف امام المرآة ويعقد بتأن ربطة عنق فضية وزرقاء تناسب تماما طقمه الصيفي الرمادي. لم تعرف تانيا انه أتى الى البيت، وبدا لها انه على وشك مغادرته. اضطرت لأن تقول له شيئاً لأنه شاهد انعكاسها في المرآة. سألته بهدوء:

- هل ستسهر خارج البيت؟

- نعم.

- طلب دالي جيلبرت من جون ان يمضي الليلة معه.

- اذن؟

- تصورت انك ربما أحببت ان توصله بنفسك.

لم تكن تانيا تعرف حقاً لماذا تقول له ذلك، باستثناء ايجاد اعذار لاطالة الحديث معه. سألها ببرودة:

- الا يمكن لأحد آخر ان يأخذه؟

- اوه، نعم، طبعاً. ولكن جون سيفرح كثيرا لو اخذته أنت. انه لا يفهم تماما لماذا لا تبقى في البيت هذه الايام الا نادراً، ولماذا . . .

عندما تكون هنا. . لا تذهب الا بغرفتك!

استدار نحوها بعصبية وقال لها:

- ربما كان عليك ان تطلعيه على الاسباب الحقيقية لذلك.

تجنبت تانيا نظرات الاشمئزاز في عينيه، وتمتم بصوت خافت:

- ماذا تريدين؟ ماذا تتوقعين مني؟ هل يفترض بي ان اقول لك اني آسف جداً يا صغيرتي لأن الامور لم تسر على ما يرام، واذهب سعيدا مرحا في سبيلي؟ لا يملك الرجل سوى شيئين يمكنه منحهما للمرأة. . . حبه واسمه. وانت، يا تانيا، ترفضينهما معا! كما انه لا توجد لديك حتى اللياقة الكافية لتوضيح هذا الرفض!

ضجت في رأسها وافكارها آلاف الكلمات، الا ان ايا منها لم تخرج الى شفتيها. وكان قلبها يرتجف عندما تمتمت قائلة بصوت ضعيف منخفض:

- آسفة. انا آسفة، يا جايك.

توجهت الى غرفتها في آخر الممر حزينة يائسة وسمعت بعد لحظات باب غرفته يغلق، فعلمت انه يغادر البيت. جففت دموعها التي انهمرت بسبب كلماته القاسية، واستجمعت قواها الخائرة بحيث تمكنت من أخذ جون الى منزل دالي. ولدى عودتها، تجنبت دخول البيت من الباب الرئيسي واختارت الذهاب الى الحديقة من المدخل الخلفي. لم يهمها ما اذا كانت جوليا بحاجة لمساعدتها في اعداد العشاء. كانت تريد الانفراد بنفسها.

توجهت نحو البحيرة واخذت تتأمل شعاع سطح الماء وانعكاس الاشجار فيه. شعرت بأسى عميق من جراء الورطة التي اوقعت نفسها بها، وترقرقت في عينيها دموع الشفقة على الذات. وفجأة سمعت صوت جاي دي وراءها يأتي بهدوء ونعومة:

- لم اعرف انك هنا.

استدارت نحوه بدهشة فقال لها بلهجة عطوفة:

- انت تبكين، يا صغيرتي.

مسحت وجهها بسرعة ثم هزت كتفيها وقالت:
- لا شيء، لا شيء.
قدم لها فنجان القهوة الذي يمسك وقال:
- هيا، اشربي، فانت بحاجة الى القهوة اكثر مما احتاج اليها انا. انها ساخنة جداً، ولكنها ستنعشك ولو مؤقتاً.
شربت جرعة وهمت باعادة الفنجان اليه شاكرة، فقال:
- لا، فانت بحاجة الى المزيد. تشاجرتما ثانية، أليس كذلك؟
نظرت اليه بسرعة ولكنها رفضت تأكيد ذلك او نفيه. لم تتمكن من الاجابة. كانت تعلم ان جاي دي لن يقبل كلمها بانها لا تحب جايك. وكانت تخشى ان يصل جزء من الحقيقة الى جايك فيما لو اجابت والده انها حقاً تحبه. ابتسم جاي دي وقال:
- اعتقد انك تفضلين عدم الاجابة. ولكنك تعرفين بالتأكيد انه يحبك؟
- نعم.
اعجبه اعترافها فنظر اليها وسألها بلهجة حنونة صادقة:
- هل ستخبرينني والد زوج متطفلا لو سألتك عن اسباب الخلاف؟
- طلبت من جايك ان يطلقني.
نظر اليها باستغراب شديد وسألها ثانية:
- لماذا؟
- لأسباب خاصة.
- هل تسمحين لي بتوجيه سؤال خاص ثان؟
- وما هو؟
- هل يعلم جايك انك لست أم جون؟
وقع الفنجان وصحنه من يدها وتحطما، فيما تسمرت في مكانها خوفا وهلعا. وسمعت جاي دي يقول:
- من الواضح انه لا يعلم.

- كيف... كيف... عرفت انت... ذلك؟
- لنقل اني لم اكن مستعداً مثل ابني للتصديق بان تلك الفتاة الغريبة التي لم تراها او تسمع عنها من قبل هي من تدعي انها هي. وكان همي الاكبر ان اعرف ما اذا كان الطفل حفيدي ام لا. كنت اتصور انك تحاولين الصاق التهمة بجايك لحمله على تبني الطفل. رفض جايك بحث الموضوع معي، واكتفى بالقول ان الطفل ولد قبل زواجكما. وعليه، قمت ببعض التحريات الخاصة دون معرفته.
ونظر اليها بحنان ثم سألها:
- لماذا لم يطلب منك جايك ابدا الاطلاع على وثيقة ولادة جون؟
تنهدت ثانيا بعصبية وهي لا تصدق ما يحدث معها، وقالت:
- طلبها مني مرة، ولكني رفضت ان يراها.
- لا يمكنك تصور مدى صدمتي ودهشتي عندما شاهدت تلك الوثيقة واكتشفت ان شقيقتك هي والدة جون.
- لماذا لم تواجهه انا منا بهذا الاكتشاف اذن؟
- كنا متزوجين بطريقة شرعية. ألمحت بضع مرات في رسائلي اليه انه ربما كان هناك أمر لا يعرفه. ولكنه كان يصر على القول ان جون ابنه. خيل الي من ذلك الاصرار في اجوبته انه يعرف الحقيقة. ثم بدأت اشعر كم تحبين الصبي، وكأنه فعلاً ابنك.
- ومتى اكتشفت ان جايك لا يعرف ذلك؟
- عندما أقنعته بالعودة الى البيت. سألته في احدى الامسيات عن اختك فقال انه لم يلتق بها ابدا.
حل الحزن محل المرارة في قلبها، وقالت:
- انه لا يتذكر شيئاً عن تلك الليلة سوى وجودنا معاً.
- لماذا لم تخبريه الحقيقة آنذاك، يا تانيا؟
- لأنه قال انه يريد ابنه. كنت اعلم ان لا أمل لي في الاحتفاظ بالصبي ما لم اتظاهر بأني امه. احببت جون منذ البداية. لم تتمكن

شقيقتي ديانا من حتفه مرة واحدة بين يديها. أصيبت بنزلة صدرية وهي في المستشفى، وتوفيت. انا التي اعتنيت بجون وربيته. كان ابنا لي، وكان جايك سيأخذه مني!

انهمرت الدموع من عينيها ووجدت نفسها بين ذراعي والد زوجها، يربت على كتفيها ويحاول التخفيف من عذابها وآلامها. أعطاها منديله وقال لها:

ـ اني أتفهم وضعك، يا صغيرتي. وسبب خلافك الحالي مع جايك نابع من مخافة اطلاعه على ما حدث.

ـ نعم، لأنه سوف يكرهني بسبب ذلك. قال انني انسانة صادقة واقول الحقيقة دائماً. فكيف يمكنني ابلاغه الآن بأنني اكذب عليه منذ سبع سنوات؟

ـ اعتقد انك مضطرة لذلك.

ـ لا أقدر، لا أقدر!

رفع رأسها نحوه بحنان وابتسم وقال:

ـ اسمعي، يا أعز زوجة ابن في العالم. لا يمكن لجايك ان يتأذى او يغضب اكثر مما هو الآن لأنك رفضته. هل تعتقدين حقاً انه سيكرهك أكثر لاطلاعه على الحقيقة؟

ـ لا أتصور ذلك ولكني لا أعلم اذا كان بامكاني مواجهته، او حتى اذا كان سيقبل التحدث معي!

ـ سأطلب منه الحضور الى غرفة المكتب في السابعة من مساء غد، وسأنصرف معكما كحكم مباراة خلال الدقائق القليلة الأولى.

ـ ربما... ربما كان من الافضل ألا تقول له انني سأقابله هناك. قد لا يأتي ابداً اذا علم بأني سألاقيه.

ابتسم جاي دي بحنان وقال:

ـ ربما انت على حق، لأن بامكانه ان يكون أعند من أعند بغال ميسوري. والآن، هل تعدينني بأنك ستخبرينه الحقيقة؟

تنهدت تانيا وردت عليه ايجاباً، وهي خائفة من مضاعفات اللقاء

المرتقب اكثر مما ترغب في الاعتراف به لنفسها.

كانت تلك الليلة ونهار اليوم التالي أطول اربع وعشرين ساعة عاشتها في حياتها. قاربت الساعة السادسة والنصف مساء ولم يكن جايك عاد بعد الى البيت. كانت تأمل في ألا يعود تلك الأمسية، مع انها كانت تعلم ان من شأن ذلك اطالة أمد تعاستها وعذابها. سيعرف جايك الحقيقة عاجلاً او آجلاً، لأن والده يعرفها. وظنت لو انها طلبت من جاي دي اطلاعه على هذا الأمر، لو لم يكن في ذلك جبن وتخاذل من جانبها. استبدلت ثيابها ثلاث مرات متتالية. لم تكن تعرف ماذا سترتدي. نظرت الى المرآة في المرة الثالثة، فانطلقت من فمها ضحكة عالية. كانت ترتدي ثوباً أسود وتعقد شعرها فوق رأسها، وكأنها ذاهبة الى جنازة... الى جنازتها هي.

خرجت من غرفتها في السابعة الا عشر دقائق وسارت في الممر بصعوبة بالغة. كانت رجلاها ترتجفان، وصدرها يعلو ويهبط تبعا لتنفسها البطيء المتقطع. كان جاي دي يجلس وراء طاولته ويحدق في سقف الغرفة. قالت له بهدوء:

ـ انه لم يعد بعد الى البيت.

تنهد الرجل وقال:

ـ صحيح. على اي حال، اجلسي. يمكننا انتظاره معاً.

كانت الساعة تجاوزت السابعة والنصف بدقيقتين عندما سمعا صوت سيارة تتوقف امام المدخل. غرزت تانيا اصابعها في المقعد الوثير ونظرت بهلع نحو جاي دي. ابتسم والد زوجها بهدوء وقال:

ـ سينتهي الأمر عما قريب.

ـ نعم، سينتهي عما قريب.

أحست بألم يعصر معدتها وخافت من انها قد تتقيأ. أنصتت لتسمع وقع قدميه تقتربان من الممر المؤدي الى تلك الغرفة، ولكنها لم تسمع سوى دقات ساعة الحائط. مرت عشر دقائق تقريباً، فبدأ جاي دي يطرق بقلمه على الطاولة وهو يتململ بنفاد صبر مزعج في

كرسيه. توترت اعصاب تانيا لدرجة الانفجار. وفجأة، قفزت من مكانها عندما سمعت طرقة خفيفة على الباب. اشار اليها جاي دي كي تجلس ثانية، وقال:

ـ ادخل.

دخل جايك وكان يبدو اطول قامة واشد جاذبية. احست بأن نبضات قلبها توقفت عن الخفقان وان عينيها تسمرتا على وجهه المتغطرس الوسيم.

ـ آسف لاني تأخرت يا أبي.

ثم شاهد تانيا، فنظر ثانية نحو والده وقال له قبل ان يهم بالخروج:

ـ كنت اظنك وحدك. اعذرني.

صرخ به جاي دي قائلاً:

ـ عد الى هنا يا جايك.

ـ سأعود عندما تكون وحدك.

صرخ به جاي دي ثانية، وبنبرة ترفض اي اعتراض او احتجاج:

ـ لا تغادر الغرفة! وتانيا ايضاً لن تغادرها.

تألم قلبها كثيراً عندما شاهدت ملامح الغضب والانفعال تغطي وجهه. انه يرفض ان يكون معها في غرفة واحدة. وسمعته يقول لوالده دون ان ينظر اليه:

ـ لا اريد ان اقلل من احترامي لك، يا أبي، ولكن هذا الموضوع ليس من شأنك اطلاقاً.

ـ اني اختلفت معك في هذا الرأي، يا بني. فجون حفيدي الوحيد، ويعني مستقبله الى أبعد حد.

ـ اذا كنت تحاول القيام بدور المستشار العائلي، فاني اقترح عليك ان تبدأ اولاً مع تانيا.

ـ لم انتظر نصيحتك كي أفعل ذلك، ولهذا طلبت منك الحضور هذا المساء. اقفل الباب وعد الى هنا، واجلس.

كانت تانيا تعلم ان بامكان والده وحده توجيه الاوامر له على هذا النحو. ما من شخص اخر يجرؤ على مخاطبته بتلك اللهجة. اقفل الباب بعنف وجلس في مقعد قريب منها. كان يبدو مرتاحاً بشكل يثير الدهشة، ولكنها كانت تعرف انه يجلس هادئاً متحفزاً كفهد شرس... نظر الى ساعته الذهبية، وقال:

ـ لننه الأمر بسرعة، فلدي موعد عشاء هذه الليلة.

ـ مع شيلا؟

لم تنتبه تانيا الى انها وجهت سؤالها بصوت مسموع، الا عندما نظر اليها بعينين قاسيتين وسألها بانزعاج واضح:

ـ وهل يهمك ذلك؟

اسكته والده مؤنباً:

ـ كفى يا جايك. لم نأت الى هنا لتبادل الاتهامات والاهانات.

احنت تانيا رأسها هرباً من نظرات التأنيب والاحتقار التي وجهها جايك الى عينيها وقلبها. وسمعته يسأل والده بشيء من العصبية:

ـ ما هو بالتحديد سبب وجودي هنا؟ هل من المفترض ان نبحث نفقات الطلاق، أم ماذا؟

ثم وجه كلامه اليها قائلاً:

ـ اذا كان الأمر كذلك، فتأكدي بأني لن اعطيك اي نفقة على الاطلاق. وسوف أحاربك بكل قواي للاحتفاظ بابني.

هبت تانيا واقفة لأنها لم تحتمل لهجة الانتقام المرير في صوته. انه يحتقرها! فكيف ستخبره الحقيقة؟ ناداها جاي دي بصوت دافئه مطمئن، وبلهجة تعدها بدعم كامل من جانبه. نظرت اليه والدموع الحارة في عينيها، وقالت هامسة:

ـ لن اتمكن، يا جاي دي، لن اتمكن.

شاهد جايك دموعها فقال ساخراً:

ـ يا لهذه الدموع! انها مؤثرة جداً!

نظر جاي دي الى ابنه بقسوة، وقال ثانياً.

ـ طبعاً يمكنك ذلك، يا ثاليا. هذا انا أبقى ابني المتغطرس فمه مقفلاً فترة كافية للاستماع والاصغاء.

قال له جايك بلهجة غاضبة:

ـ لماذا تصر على العودة الى هذا الموضوع؟ انك لا تعرف ماذا يجري.

رد عليه والده بغضب مماثل:

ـ انا اعرف اكثر مما تعرفه انت! واذا خرست لبعض الوقت، فلربما تمكنت انت ايضاً من معرفة بعض الامور!

لم تتحمل ثاليا قيام اي خلاف بين الابن وابيه فصرخت بحزن بالغ:

ـ كفى! توقفا عن التربص ببعضكما! لن أقبل بأن تصرخا بوجه بعضكما بسببي!

ـ انت سبب توتر علاقتي مع عائلتي منذ اليوم الأول لزواجنا. فلماذا تتبدل الأمور الآن على هذا النحو المفاجىء؟

نزلت عليها كلماته الساخرة واللاذعة كوقع السياط، ولكنه لم ينتظر جوابها بل مضى الى القول:

ـ يمكنك الآن ان تخبريه اي قصة تريدين، فقد سئمت من هذا الترقب المثير الأجوف.

نظرت ثاليا الى الرجل الجالس وراء طاولته وهي تأمل في ان يتكلم نيابة عنها. ولكنه هز برأسه مشيراً اليها كي تتكلم. قالت له بصوت مضطرب:

ـ لا اعرف كيف ابدأ.

صرخ جايك بعصبية فائقة:

ـ بحق السماء! قولي ما تريدين قوله حتى اتمكن من مغادرة هذا المكان!

ـ انت لا تسهل علي الأمور يا جايك.

ـ ومتى كنت تسهلين أمور ومجريات حياتي، أيتها العزيزة؟

خيم الصمت بضع لحظات خف خلالها غضبها الانتقامي بسبب تذكيره القاسي بمعاملتها السابقة له. تنهدت ومسحت دموعها، ثم بدأت تتحدث بهدوء:

ـ عندما كنا نتحدث ذلك اليوم، قلت لي انك معجب بصراحتي وصدقي. لم أكن صريحة وصادقة معك، يا جايك. لقد ضللتك لتقتنع بشيء ليس صحيحاً على الاطلاق.

تأمله بتمعن وهي تنتظر رد فعله على تلك الجملة. كان ينظر اليها ببرودة وتململ، منتظراً منها متابعة كلامها.

ـ اريد ان احدثك بشأن جون.

عضت على شفتها بقوة كي تمنع نفسها من البكاء. واختلط طعم الدم بالألم الذي يعصر قلبها وجسمها بكامله.

ـ وماذا بشأن جون؟

شاهدت نظراته القاسية، فارغمت نفسها على التطلع الى عينيه وقالت:

ـ انه ليس ابني.

قفز جايك من مكانه كالمجنون واقترب منها بسرعة الفهود. امسكها بكتفيها وغرز اصابعه حتى العظام. هزها بعنف بالغ، وهو ينظر اليها بذهول مؤلم.

ـ ما هذه السخافة؟ ماذا تحاولين قوله؟ هل تحاولين اقناعي بأن جون ليس ابني؟

ترقرقت الدموع في عينيها وانهمرت على وجنتيها الورديتين، وتمتمت:

ـ لا يا جايك. انه ابنك، ولم اكذب ابداً بالنسبة لذلك.

ـ اذن ماذا تحاولين قوله يا امرأة؟

ـ انه ليس ابني انا. أنا لست امه.

قطب حاجبيه بدهشة بالغة، وسألها بعصبية:

ـ انا لا افهمك الآن. ان لم تكوني انت امه، فمن هي اذن تلك

الأم؟

ازداد ألمها عندما ضغط بقوة اكبر على كتفيها، وقالت بصوت خافت:

- انها الحق ديانا.

صرخ بها جايك مذعوراً:

- هذا كذب ونفاق! لا أصدق كلمة واحدة مما تقولين!

تنهدت وقالت له هامسة:

- انها الحقيقة، يا جايك. أقسم لك على ذلك.

- لا! لا!

أرعبها صراخه ولم تعد تعلم ماذا تفعل. تركها فجأة وقال:

- لا أصدق. لا أصدقك ابداً.

تدخل جاي دي قائلاً لابنه بهدوء:

- انها [illegible]

حدق به جايك وسأله بسخرية مثالية:

- ولماذا تعرفت انت من هذا الوصي؟ لا تقل لي انك تصدق هذه القصة الخيالية؟

لم يرد عليه والده فوراً، بل أخرج وثيقة من درجه واعطاها لابنه قائلاً بهدوء ونعومة:

- أعتقد انك لم تشاهد هذه الوثيقة من قبل.

انتظرت تانيا، وهي مشلولة الحركة والتفكير، فيما كان جايك يقرأ تلك الوثيقة عابساً متجهم الوجه. كانت متأكدة من ان تلك الورقة هي نسخة عن وثيقة الميلاد لجون. لا بد ان جاي دي حصل على تلك النسخة قبل بضع سنوات. نظر اليها جايك بعينين فولاذيتين وسألها بعصبية مكبوتة:

- ديانا كلار هي شقيقتك؟

تسارعت دقات قلبها توترا وقلقا، فاكتفت بهز رأسها دليل الموافقة. سألها بحدة:

- ولماذا؟ لماذا تركتني أعتقد طوال هذه السنوات انك انت أم جون؟

- لانك كنت كنت والده. كنت ستأخذه مني. لم تكن لدي اي عائلة، اي مكان لائق أعيش فيه، او اي دخل كاف لاعالة نفسي . . . وجون. كنت أعلم ان لا أمل لي في ان تمنحني اي محكمة حق الوصاية، وبخاصة عندما يكون جايك لاسيتر والده.

- أولاً، كان علي ان اعيش متأكداً من انك حملت ابني بطريقة غير شرعية والآن، تقولين لي ان أم ابني فتاة لا اذكرها على الاطلاق!

قبض على تلك الورقة بعصبية بالغة، وخيم على الغرفة صمت ثقيل لم تسمع تانيا خلاله سوى دقات قلبها. وفجأة رمى تلك الكرة الورقية نحوها قائلاً بلهجة تضج عنفاً وتوترا:

- انك تطلبين الكثير الكثير!

تنهدت تانيا رغماً عنها. لم تعد قادرة على مواجهته بعد الآن. ليس بعد هذا الأذى البالغ الذي ألحقه بها.

- آسفة يا جايك.

وخرجت من الغرفة بسرعة دون ان تنظر الى اي منهما.

١٠ - تلك الليلة

- تانيا!

سمعت صوته الغاضب، ولكنها لم تتوقف. مشت بسرعة اكبر عندما احست بأنه يتبعها. لم تتمكن من التوقف حتى بعد ان سمعته يناديها ثانية.

- تانيا، توقفي وعودي الى هنا!

كان يحتقرها لأنها رفضت حبه، ومن المؤكد ان شعور الاشمئزاز تضاعف لديه بعد ان تبين له كيفية استغلالها له طوال السنوات السبع الماضية. كيف يمكنها ان تلومه؟

لم تكن تفكر بشيء الا بالوصول الى غرفتها وعزل نفسها عن الآخرين. كانت تصطدم بوالدة زوجها، التي هرعت الى الممر لدى

سماعها صوت جايك الغاضب. لم تأبه لنظرات الذهول والاستفسار التي غطت وجه جوليا. وسمعتها تسأل ابنها:

- جايك، ماذا حدث؟ ماذا يجري هنا؟

ازاحها بعصبية قائلاً:

- ليس الآن، يا امي، ليس الآن.

قالت له بغضب ظاهر:

- اريد ان اعرف ماذا يجري. لدي كل الحق لمعرفة ماذا يحدث في بيتي!

- دعيه وشأنه، يا جوليا.

رفضت الاصغاء لكلمات زوجها الهادئة، ومضت الى القول بحدة:

- ولكني اريد ان اعرف...

وضع جايك يده على فمها، وقال:

- سأخبرك كل شيء في وقت لاحق. اين جودي الآن؟

- في الحديقة.

سمعت تانيا الجملة الأخيرة فيما كانت تغلق الباب وراءها وتقفله بالمفتاح.

- افتحي الباب، يا تانيا!

تسمرت في مكانها من جراء ذلك الصوت الغاضب، وقالت له:

- رجوتك ان تذهب، يا جايك. اذهب.

- افتحي هذا الباب والا حطمته!

ترددت دقيقة قبل ان تمد يداً مرتجفة لتفتح الباب. حاولت جاهدة ايجاد القوة الكافية لعدم الانهيار اثناء استجوابه المتوقع. قررت الا تبكي، والا تحاول استجداء عطفه وشفقته. ليس من حقها ان تفعل ذلك، ليس بعد الطريقة التي اساءت فيها استخدام ثقته. احست بوجوده داخل الغرفة حتى قبل ان تسمع صوت الباب يغلق بقوة. تنفست بقوة ونظرت نحو السقف، وانتظرت. صرخ بها جايك

بلهجة غاضبة:

ـ انظري الي يا تانيا.

استدارت نحوه ببطء ثقيل، وهي لا تعرف كيف تبدو ملامحها في تلك اللحظة بالذات. حدقت في عينيه الفولاذيتين القاسيتين، وسألته بنبرة حادة:

ـ الا يمكننا تأجيل ذلك حتى الغد، يا جايك؟ سوف تتأخر عن موعدك هذه الليلة.

ابتسم بحرقة وقال لها ما كانت تفكر به الى حد ما:

ـ انا واثق تقريباً من انك ستجمعين ثيابك واغراضك وتغادرين البيت، بمجرد خروجي منه. سوف ننهي هذه المناقشة على الفور، وفي هذه الغرفة بالذات.

رفعت رأسها نحوه بصورة لاشعورية وقالت:

ـ ليس هناك شيء آخر اضيفه على ما قلته لك سابقاً. يمكنني فقط ان اقول لك انني اشعر بأسف شديد وبخجل قوي لأنني لم اخبرك الحقيقة، قبل الآن.

نظر اليها بعينين ساخرتين غاضبتين وقال:

ـ انك حقاً حزينة بسبب تصرفاتك! لا ادري كيف تمكنت من اقناعي بمدى الاخلاص والنية الطيبة في عملك هذا، ولكنك بالتأكيد لم تقنعيني انا بعد.

ـ اقنعك بماذا، يا جايك؟

ـ بسبب زواجك مني.

ـ تزوجتك لأجل جون. قلت لك مرات عديدة في السابق. عندما اخطأت بابلاغك ان جون ابنك، وادركت انك لم تأخذ الموضوع بسهولة، شعرت بانه ليس امامي اي خيار آخر. احببته كأنه فعلاً وقولاً ابني من لحمي ودمي.

ـ الم يخطر ببالك قط فكرة تحولك من تانيا كار الى السيدة لاسيتر؟ الم تخطر تلك الفكرة حتى عندما علمت ما يعنيه ذلك من سكن في

بيت جميل رائع... وتحرر من اي مشاكل مالية... والتمتع بحمل اسم لاسيتر المشهور... وارتداء ثياب لم تكوني تحلمين حتى بالاقتراب منها قبلاً؟ الم تؤثر هذه الامور قط على قرارك؟

رفعت رأسها بشموخ واباء، وقالت بهدوء راسخ:

ـ لن اتظاهر بانني كنت اجهل ان عائلة لاسيتر ثرية ومحترمة. ولكنني لن اتمكن من اقناعك بان هذه الامور لم تكن تعني لي شيئاً لو لم تكن لصالح جون ومستقبله. كانت من حقه بالولادة، في حين انها لم تكن ابداً من حقي انا.

تمتم بسخرية لاذعة:

ـ من المضحك انك لم تتراجعي ابداً عن استخدام هذه الامور لصالحك انت.

ـ اذا اردت ان تصنفني كامرأة جشعة تبحث عن الذهب والشهرة، فلن اتمكن من منعك. ما يمكنني قوله فقط هو ان مستقبل جون كان ولا يزال همي الوحيد.

حدق بها جايك فترة طويلة، ثم هز رأسه بعصبية وتمتم غاضباً:

ـ لا اعرف لماذا اصدقك، ولكني اصدقك.

اختنقت الكلمات في حلقها، ولم تتمكن الا من توجيه كلمة شكر مبهمة. وضع جايك يده على رأسه وسار نحو النافذة. تأمل الأفق البعيد واحمرار المغيب بعينين زائغتين وافكار متحيرة. ثم قال لها دون ان يلتفت اليها:

ـ يمكنني قبولك كوالدة جون. يمكنني تصديق ذلك. ولكن ان اكتشف فجأة ان امه الحقيقية السابقة لا اتذكرها...

توقف فجأة ثم سألها:

ـ اريد ان اعرف كل شيء عن تلك الليلة، يا تانيا.

تمتمت بصوت ضعيف احتجاجاً على سؤاله المزعج:

ـ اوه، جايك!

ـ هل هي التي... هل اخبرتك اختك بأنني والد الطفل؟

لاحظت ثانيا انه مصمم على معرفة كافة التفاصيل. اجابته بهدوء:

ـ نعم، هي التي اخبرتني بذلك.

ـ اخبريني ماذا حدث تلك الليلة. اخبريني كل شيء تعرفينه.

كان صوته قوياً وبلهجة آمرة، الا انه لم يبعد نظره عن النافذة. تأملت بحب وحنان ظهره الجميل ومنكبيه العريضين ورأسه الشامخ. كمنت لو ان بامكانها ان تهجم عليه وتضمه الى صدرها بقوة تخفف عنها بعض الألم. ولكن جايك يصر على الحاق المزيد من الألم. لم تعرف من اين تبدأ، فقررت اطلاعه على جميع التفاصيل منذ البداية. قالت له بتردد:

ـ ذهبنا انا واختي معاً الى المعرض والى قاعة الرقص. كانت مع بعض صديقاتها عندما التقيتني انت. انا متأكدة من انها لم تكن قريبة مني عندما دعوتني تلك المرات القليلة الى الرقص. كنت جذاباً جداً وساحراً للغاية. وشعرت انك تسرق مني انفاسي كلما نظرت الي. لم اقابل احداً مثلك من قبل.

ـ لماذا هربت مني؟

تنهدت ثانيا وقالت:

ـ سيبدو الأمر سخيفاً الآن. عانقتني مرات عديدة اثناء وجودنا على حلبة الرقص ولكن المرة الأخيرة. . . اوه، كانت مختلفة. ازعجتني. ازعجتني بسبب ما بدأت اشعر به. اردتك ان تمضي في عناقي. ازعجتني تلك المشاعر والرغبات الدافئة، فهربت.

ـ بحثت عنك، فلم اجدك. الى اين ذهبت؟

ـ ذهبت الى سيارتنا التي سمح لنا والدانا باستخدامها. ذهبت اليها وانا انوي العودة فوراً الى البيت. ولكني لم اتمكن لأن ديانا لم تكن معي. بدأت اشعر بأني سخيفة وغبية لأني تجنبت ذلك العناق كشيء هائل. عدت الى قاعة الرقص. . . لم اعد فوراً بطبيعة الحال لأني ترددت بعض الوقت قرب السيارة. وربما مر على وجودي خارجاً

نصف ساعة او اكثر.

تنهدت بقوة وهي تتذكر احزان تلك اللحظات ومآسيها، واضافت:

ـ عندما عدت، شاهدت صبياً اعرفه كان يقف قرب المدخل، سألته عن ديانا، فقال لي انها في الجهة الخلفية للقاعة. دخلت القاعة، فرأيتها تقف الى جانبك.

سألها بشيء من الحدة والعصبية:

ـ هل انت متأكدة من انها كانت معي؟ الا يمكن انها كانت تقف قربي؟

ردت عليه بهدوء، وقد بلغ منها التأثر حداً كبيراً:

ـ لا، يا جايك. تبعني ذلك الصبي الذي كان واقفاً امام الباب، ثم اشار اليك وسألني اذا كنت ذلك الشخص الذي كان يعانقني قبل قليل. لا اذكر ما اذا كنت اجبته نعم ام لا، ولكنه طالبني على الفور بتحطيم العنق. وقال لي ان شباب عائلة لاسيتر لا يضيعون وقتهم. . . فلما لم تقبل بهم هذه الفتاة وجدوا تلك.

استدار نحوها بعصبية وسألها بوجه عابس غاضب:

ـ وهل تصدقين ذلك؟

هزت ثانيا رأسها بهدوء وقالت:

ـ ليس الى حد كبير، في الوقت الحاضر. صدقت كلام الشاب آنذاك، وصدقته اكثر في وقت لاحق.

قال لها ببرودة:

ـ وكان هذا سبب احتقارك لي الى تلك الدرجة! عندما لم انجح في الحصول منك على ما اشتهيه، استخلصت اختك. هذا ما كنت تعتقدينه، اليس كذلك؟ كيف عرفت بالتأكيد ان اختك كانت معي؟

ـ في الوقت الذي اردت التقدم نحوكما، اقترب شاب يافع من ديانا ودعاها الى الرقص. شاهدتك تطوق خصرها بذراعك وتدفع

الشاب بعيداً قائلاً له انها . . . بضاعة خاصة.

تنهد جايك بقوة وعاد ينظر الى الخارج. ارادت التوقف عن متابعة هذه الذكريات المؤلمة، ولكنها كانت تعرف انه يصر على معرفة ادق التفاصيل.

- تمكنت في وقت لاحق من رؤية ديانا على انفراد. حاولت تحذيرها منك، ولكنها رفضت الاصغاء الي. قالت لي انها راشدة بما فيه الكفاية وتعرف كيف تتصرف. طلبت مني ان اذهب الى البيت ففعلت ذلك دون تردد. كانت الساعة تشير الى الخامسة صباحاً عندما عادت الى البيت. لم تتحدث الا عنك وعن انك ستأتي لمقابلتها في نهاية الاسبوع التالي. قتل والدنا بعد بضعة اسابيع بحادث اصطدام سيارة، فاخبرتني على اثر ذلك بانها حامل.

- لماذا لا يمكنني ان اتذكر شيئاً؟ لماذا؟ لماذا؟

ثم استدار نحوها وتأملها طويلاً قبل ان يسألها ثانية:

- هل كانت تشبهك؟ هل من الممكن انه اشكل علي التفريق بينكما؟

ردت عليه بهدوء:

- كانت سمراء داكنة الشعر، واقصر مني.

خيم الصمت الثقيل مرة اخرى لفترة طويلة لم تسمع تانيا خلالها سوى صوت تنفسها. وضع جايك يده على حافة النافذة فيما كان يراقب جون وهو يلعب بجرافته الصغيرة بين الصخور. واخيراً سألها دون ان ينظر اليها:

- لماذا؟ لماذا وافقت على بذل جهود لانجاح زواجنا؟ هل كان ذلك ايضاً لأجل جون؟

تحملت سخريته الباردة وقالت له:

- لا، وافقت في البداية لأنك قلت لي اننا سنبحث عن بديل لانهاء زواجنا، فيما لو فشلت هذه الجهود والمحاولات. لم يعن لي ذلك البديل شيئاً سوى الطلاق، وهو امر كنت ارفضه من صميم

قلبي.

صرخ بصوت غاضب ومتألم:

- لماذا لم تقولي ذلك قبلاً؟ هل كان طعم الانتقام قوياً لدرجة انك اردت اذلالي حتى النهاية؟

- لو سألتني ذلك قبل سنوات، لأجبت بالايجاب. اما الآن، او قبل اسبوع، او حتى قبل شهر، لكان جوابي مختلفاً ولقلت لك ان كلامك غير صحيح. اعتقدت ان امامنا فرصة طيبة لانجاح زواجنا، وانك قد تنظر الي بعين الحب والعاطفة . . . او على الأقل ان تتفهم سبب كذبي عليك في البداية.

ضحك بمرارة وقال لها، وهو يترك النافذة متوجهاً نحوها:

- انك تقللين من اهمية قدراتك يا تانيا.

اغمضت عينيها لحظة وقالت:

- عندما قلت لي انك تحبني . . . وتحبني لنفسي والصدقي، تمنيت لو ان الأرض انشقت وابتلعتني. كنت افضل الموت على ان تكتشف الطريقة التي كنت اخدعك بها.

- لماذا قررت اطلاعي على هذه الأمور؟ هل ارغمك ابي على ذلك؟

- قال لي انه من الافضل ابلاغك بالأمر.

- كان بامكانك ان تتركيني اعتقد ان جون ابنك. لماذا لم تفعلي ذلك؟

نظرت بطريقة لاشعورية الى السرير، ثم قالت له بحياء بالغ:

- لو لم اخبرك الحقيقة، واصبحت زوجة حقيقية . . . لكنت اكتشفت بنفسك اني . . . اني لست اماً.

حدق بها جايك بذهول وكأنه لم يفهم كلامها. ثم اقترب منها ووضع يديه على كتفيها قائلاً:

- هل تعنين . . . هل تقولين لي انك . . . انك . . .

اطلقت صرخة قوية عندما قرأ جوابها في وجهها، ثم ضمها الى

صدره بقوة واغرق وجهه في عقدة شعرها الجميلة. امسكت به وهي
تصلي بالا يتركها ابداً، وبأن يبقيها بين ذراعيه الى الابد وهو يردد
اسمها بصوت حنون هامس. كان قلبها يغني عندما تمتمت قائلة:
ـ هل يمكنك ان تغفر لي؟ اني احبك كثيراً يا حبيبي.
ـ لماذا؟ بسبب جون؟ هل ما زلت تريدينه؟
فهمت سبب تشككه بصدق حبها، فاعترفت له بما يجول في
قلبها:
ـ اني احب جون، ولكن حبي لك يختلف عن ذلك، اعرف انك
لن تغفر لي لأني خدعتك بشأنه. ولكني احبك، يا جايك، احبك
كثيراً.

ابعد رأسه عنها بقساوة وهو يقول:
ـ لا، لا. انا الذي يحتاج الى المغفرة بسبب ما فعلته معك ومع
اختك.
ظلت متمسكة به ورافضة ابتعاده عنها، وقالت:
ـ لم اعد اشعر بأي مرارة تجاهك.
ـ ولكنها موجودة، وموجودة بيننا. لا يمكننا التظاهر بانها لم
تحدث.
وحدق بها ببرودة ثم مضى الى القول:
ـ احبك يا تانيا، ربما الآن اكثر من اي وقت مضى بعد ان ادركت
مدى تضحيتك تجاه ابي.
وضعت يديها برقة ونعومة حول وجهه وقالت:
ـ اليس هذا هو الذي يهم، يا حبيبي؟ ان نحب بعضنا؟
ـ اللعنة! الا تفهمين؟
ابعد يديها بغضب عن وجهه، ومضى الى القول:
ـ هذا الفراغ المرعب في ذاكرتي عن تلك الليلة... يرهقني،
يؤلمني، يكاد يقتلني. لا اعلم لماذا اتوقع منك ان تصدقيني، لم اذكر
بشيء عن تلك الليلة الا بك. ولا اذكر ابداً اني تعرفت الى اي فتاة

اخرى.
ضمته اليها بقوة، وكانت عيناها تشعان بكل مشاعر الحب التي
تحس بها من رأسها حتى اخمص قدميها. ابتعد عنها وسألها بهدوء:
ـ هل توجد معك صورة لها؟ ربما اذا شاهدتها، سأتذكر.
فتحت حقيبتها واخرجت صورة اختها ثم اعطتها له. تأملها بدقة
ولفترة طويلة، ثم هز رأسه وتمتم قائلاً وهو يعيد الصورة اليها:
ـ ليس وجهها مألوفاً، مع ان لديها ابتسامتك الجميلة.
بدأت تعيد الصورة الى الحقيبة، ولكنه مانع وامسك بمعصمها
قائلاً بلهفة:
ـ انتظري لحظة!
نظر مرة اخرى الى الصورة ثم الى تانيا. تنفست بصعوبة وسألته:
ـ هل تذكرتها الآن؟
ـ تذكري جيداً يا تانيا. هل قالت لك انها امضت ليلتها معي؟
اعني انا بالتحديد، بالاسم؟
هزت رأسها بارتباك وقالت:
ـ اعتقد ذلك. الى ماذا تحاول التوصل، يا جايك؟
ـ اني اسألك عما اذا قالت لك انها كانت مع جايك لاسيتر، ام
انك انت افترضت ذلك؟
ـ لم اعد اتذكر. كنت مثقلة جداً واشعر بالمرارة والغضب. لم ارد
التحدث عنك.
ـ اليس محتملاً انها قالت لك انها كانت مع جايمي لاسيتر؟
ـ جايمي شقيقك، فلماذا كانت ستطلق عليك اسمه؟
ـ لأن اخي كان معي تلك الليلة. اذكر كحلم قديم اننا لم نعد الى
الفندق معاً، ولكني كنت اعزو ذلك حتى الآن لوجودي معك.
ـ ولكني شاهدتك مع دينا!!
ـ هل كان معنا احد آنذاك؟
ـ لا يمكنني ان اتذكر ذلك.

- اعرف انه التقى فتاة هناك. ولكني كنت ابحث عنك كالمجنون، فلم انتبه الى شكلها. . . سمينة، نحيفة، قصيرة، طويلة، لا ادري.

- جايك، الى اين كان جامي ذاهباً تلك الليلة التي قتل فيها؟

- لا اعرف. اعتقد انه كان على موعد مع فتاة شمال هانفيلد.

- متى قتل؟ اعني، في اي يوم بالتحديد؟

استعاد وجهه بعض الارتياح وهو يجيبها قائلاً:

- يوم السبت. . . نهاية الاسبوع التي كان يفترض بي لقاء ديانا خلالها. جامي هو والد الطفل!

- عندما ابلغتني بانها حامل، سألتها ما اذا كان والد الطفل هو ذلك الرجل من عائلة لاسيتر الذي التقته في قاعة الرقص. وبالطبع قالت نعم، ولم تذكر الاسم ابداً بعد ذلك [illegible]. عندما ولد جون [illegible] [illegible] ولكنك انت التي اعطت المعلومات [illegible] [illegible] الولادة، اعطيته اسمه. . . [illegible] الرجل من ذلك طوال هذه السنين. اوه، جايك، انا آسفة.

تنهد بقوة وقال:

- انا لست آسفاً. لا يمكننا التأكد من ان جامي كان فعلاً والد جون.

ابتسمت تانيا وقالت:

- ولكننا، يا حبيبي، لا يمكننا التأكد من عكس ذلك. انا نعرف ان جون هو من عائلة لاسيتر قولاً وفعلاً. ارني جوليا صوراً فوتوغرافية لكما عندما كنتما طفلين، ولا اكد لك ان ثمة شبهاً هائلاً بين جون وجامي.

- تحطمت سيارته بين هنا وسيدالبا. احب كثيراً ان اصدق انه كان في طريقه لمقابلة ديانا. ربما وقعا بحب بعضهما تلك الليلة. احب جداً ان اصدق ذلك.

وافتر ثغره عن ابتسامة ارتياح ومضى الى القول:

- احب ان اصدق ذلك، اذا لم يكن لشيء، فلكي اريح ضميري من عذابه.

- ليس هذا الامر صعب التصديق. اعتقد اني احببتك تلك الليلة، لفترة قصيرة على الاقل.

ضمها بحنان نحو صدره وطوقها بذراعيه، ثم تمتم قائلاً:

- لا ادري ماذا كان سيحدث لو انك اطلعتني على الحقيقة قبل سبع سنوات.

تنهدت، ولكن بسعادة، وقالت:

- اعتقد اننا لن نعرف ذلك ابداً.

- احبك يا تانيا، يا زوجتي الصادقة الطيبة. واعتقد اني كنت سأحبك آنذاك كما احبك الآن. كان من الممكن ان نكتشف آنذاك حقيقة ما جرى بين جامي وديانا، [illegible] الرأي والكراهية اللذين عشناهما طوال هذه السنوات.

التصقت به بقوة وقالت:

- احب ان اعتقد ان هذا الامر جعل حبنا اقوى وامتن لانه ولد وعاش حيث لم يكن يحق له ذلك. الا توافقني على هذا الرأي؟

ولكنه هذه المرة اجابها بالافعال عوضاً عن الاقوال. . .